

سلسلة أفكار معاصرة

دين ضد الدين^{٢٨}



الشهيد الشيخ
عبدالله بن عبدالمطلب

دين ضد الدين

الشهيد الدكتور علي شريعتي

ترجمة: حيدر مجيد



مؤسسة الفكر والثقافة

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما نتكلم عن شريعتي، لا بد أن نتكلم عن الإسلام -
الأديولوجيا - بما يعنيه هذا المصطلح، من ثورة وفكر وحضارة
وحاكمية، من هنا طرح شريعتي مفهومه المُوحد والمُوحد هذا، من
خلال ثلاث طرق:

١ - فهم الإسلام فهماً متكاملًا، وعدم الإنحصار على فهم
الأمور التي تتعلق بحياة الفرد فقط، بل فهم الاقتصاد والسياسة
والمجتمع والتاريخ ومتطلبات العصر، من منطلق الإسلام ذاته،
لأنه عقيدة متكاملة، لكل زمان ومكان.

٢ - أن يُطهّر الفكر الإسلامي من عناصر الجمود والركود،
سواءً التي لُصفت به عبر عصور التخلف، أو التي أدخلها
الاستعمار.

٣ - أن يصبح الإسلام ثقافة الجماهير، كل الجماهير، وأن
يخرج من احتكار بعض المناجرين بالدين، والذين جعلوا من الدين
دكاناً للإرتراف، يروجون به أفكاراً حسيوها ديناً عن علم أو جهل،

إسم الكتاب : دين ضد الدين

إسم المؤلف : د. علي شريعتي

إسم المترجم : حيدر مجيد

تصحيح لغوي وفهرسة : محمود البدري

مراجعة وضبط : حسين شعيب

تنضيد وإخراج : حوراء محمود البدري

تصميم الغلاف : New Moon Ray

الطبعة الأولى : ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

قالوا في شريعتي

الإمام الخميني (قده)

«لقد أنارت أفكار الدكتور شريعتي الخلاف والجدل أحياناً بين العلماء لكنه في نفس الوقت لعب دوراً كبيراً في هداية الشباب والمتعلمين إلى الإسلام»^(١).

السيد أحمد الخميني (٢)

إن ما قدّمه الدكتور شريعتي كان عظيماً، بحيث يتعذر عليّ الآن الإحاطة به، لأنه في الواقع كان ولا يزال معلّم الثورة الإسلامية

(١) من كلام الإمام الخميني (رسمي) - د. جامع كتاب «شريعتي در جهان» صفحة ١٩٤، تأليف حميد أحمددي، والمصادر عام ١٣٦٥ هـ. ش، عن شركة مهدي انتشار (للتأثير) (٢) مصدر فارسي - ار كتاب كتابين و٢٠ مريم (مواهب) در صرل فكر علي شريعتي، أدر ما، ١٣٥٩ هـ. ش / ١٩٨٠ م

لنفسوا الأهداف السامية للدين الحقيقي^(١).

وتعبيراً عن هذه الأفكار جاء كتابه هذا - دين ضد الدين - أو «الدين ضد الدين» والذي يعتبر من أقوى كتبه - وأخطرها - ليكون حلقة رئيسية في منظومة شريعتي الفكرية، والتي تعمل على إبرازها من خلال مشروعاتها الفاعلة؛ ترجمة ونشر الأعمال الكاملة للدكتور علي شريعتي، وذلك بالاتفاق مع مؤسسة نشر آثار الدكتور في إيران، بموجب عقد موقع حسب الأصول القانونية، والذي أصبح فيه دار الأمير للثقافة والعلوم - بيروت يملك الحق الحصري بترجمة ونشر آثار الدكتور شريعتي باللغة العربية.

وتحسب إذ تطرح هذا الكتاب للنشر، تنوجه بالشكر الجزيل للمترجم الأستاذ حميد مجيد علي ما بذله من جهد جهيد، في ترجمة هذا الكتاب، والذي يأتي بعد ترجمته للكتاب الأول - التشيع العلوي والتشيع الصقوي - ليضيف للمكتبة العربية متارة أخرى من منارات الدكتور شريعتي، وتحتن والقراء الكرام بانتظار الإنتهاء من ترجمته للعمل الثالث وهو - كتاب معرفة الإسلام - ينصه الكامل، والذي سيصلو قريباً يعونه تعالى.

أخيراً ندعو الله سبحانه أن يوفقنا لأداء هذه الرسالة، معتمدين عليه وحده، عليه توكلنا وإليه نتيب.



(١) يتصرف عن مجلة الشيع (العدد ٢٠) تاريخ ١٣٧٩/٦/٢٧ م - ص ٣٤.

المستغربين والتابعين للأجنبي ولكل ما يأتي من الخارج ، حيث كانت علاقته بالأمة قوية وكان متفاعلاً معها . . يستلهم منها ويخاطبها وكان ذلك دأبه وديبته^(١).

الإمام السيّد علي الخامنئي^(١)

في الحقيقة كان الدكتور شريعتي موالياً، صلب العفيدة وعاشقاً لكل ما هو مقدس في الإسلام، وذلك ما لمسناه منه عن قرب، وليس من خلال ما أشيع عنه، أو ما خالته عنه التيارات الفكرية في حقه، وهنا يمكن أن نستند في تفهيمنا للدكتور شريعتي على نقطة مهمة، وهي من خلال مواجهته للتيارات الفكرية الأخرى في ساحتنا، وكانت هذه التيارات قد بدأت عملها من خلاقي ثلاثة محاور؛ وهي: مواجهة الحس الوطني، ومواجهة كل ما هو إسلامي، ومحاولة تقنين الأمة. وكانت تلك التيارات نتفد بحسب اتجاهاتها، ولكن الدكتور شريعتي لما ظهر على ساحة الفكر الملتزم اختلف مع تلك التيارات في عمله بمقدار ١٨٠ درجة، مما يعني أن الدكتور شريعتي كان له ارتباط قوي بالإسلام، وأنه كان على طرفي نقيض مع محاولة

(١) مصدر فارسي: «روزنامه خبیرهای سالگرد هجرت و شهادت دکتر علی شریعتی» الناشر: کرد آویند؛ محمد علي أمير كل - إيران، رشت، ص ١٠٠، أو روشنگران و شریعتی، ص ٥٥، ٥٧، شخترای دهر معظم انقلاب در مدرسه عالی شهید مطهری.

(١) الولي العفیة، القائد الجمهورية الإسلامية في إيران، وكان في أيام الثورة، على معرفة وصلة بالدكتور شریعتی.

الإمام السيد موسى الصدر^(١)

الذي صلى على جثمان شريعتي في دمشق ١٩٧٧م

كان لنا صديق، زميل - فائد من فاد، الفكر الإسلامي، هو الدكتور شريعتي، توفي في هذه الفترة الأخيرة. وفي «الرسالة» التي سنطبع إن شاء الله بعد يومين أو ثلاثة، يوجد له نعي وصورة، والعدد القادم من الجريدة سيخصص له بإذن الله.

أحببت أن أنقل للإخوان، صورة عن هذا الرجل، وألقي بهذا، الثمينة سواء على البعد العالمي لحركتنا.

(١) السيد موسى الصدر عنّي عن التعريف، لمس حركة المحرومين في لبنان. والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي ترأّسه، وكان له الدور الأهم في إطلاق وتشجيع المقاومة المسلحة ضد إسرائيل، ورفع شعار «إن شرف القدس يأتي أن يتحرز الأعلى أيدي المؤمنين» من هذه المبدأ عمل الإمام الصدر على ساء القاعدة الإيمانية المربعة على المستوى الثاني، وتنازل إلى حاشية الإمام الخميني الذي كان يعتبره إماماً من إمامه.

هذا النص أعلاه، جاء في الإجمال الثاني الحاشية، الذي ألقاه الإمام الصدر تأليفاً للدكتور علي شريعتي في الكلية الحاشية في بيروت. وعلى أثر، سحب الشاه المقهور الحاشية الإيرانية من السيد الصدر.

الدكتور شريعتي، أبو، رجل دين غير معمم، إسمه الشيخ محمد نقي شريعتي. وهو رجل فاضل أسس مؤسسة في خراسان اسمها «مجتمع الأبحاث القرآنية». وأنا ألفت محاضرات هناك، قبل عشر سنوات تقريباً.

الدكتور شريعتي، هو إيراني فروي من قرية «مازنان» في إيران، قرب «كوير» يعني الصحراء، في إيران. تخرج من جامعة «السيوربون»، واختصاصه «علم الاجتماع الديني». وعاد إلى إيران، وكان يعطي دروساً في جامعة خراسان، ثم في جامعة طهران، ثم تحول إلى داعية ديني.

له أكثر من مئة و خمسين كتاباً. كتبه، محاضراته، هي الواقع، محاضراته أربع ساعات، خمس ساعات، ست ساعات، سبع ساعات إزنتال، تسجل وتُطبع وهكذا.

أديبه، شامخ، فكره إسلامي مضالي متفتح. إسلاميته، وطبقته، وموقف رجال الدين، لم تجعل من دعوة الدكتور شريعتي، دعوة محافظة، رجعية، بعينية كما هو التقليد، لأن الدعوة الإسلامية، تعتبر في كثير من الأوساط، دعوة محافظة على الأهل، لكن دعوة الدكتور شريعتي للإسلام، دعوة تقدمية، ثورية. تضالية، أو ما نسميه نحن دائماً في إجتتماعاتنا، دعوة حركية، وليس دعوة مؤسسية. يعني ليس الإسلام دكتاتاً يجب أن تحتفظ بمسكابه، وتأخذ لأجله من الناس، ونستخر الناس لخدمته، كما حصل بالنسبة للمؤسسات الدينية.

المؤسسات الدينية اليوم، لها أموالها، ولها أوقافها، ولها رجالها، ولها شؤونها وبروتوكولاتها، ولها خضوماتها، ولقاءاتها، ولها مكاسبها. تماماً مثل الاتحاد السوفياني أو الصين، بعدما تحولوا إلى دول، ونسوا كونهم حركة إنقلابية عالمية. فبدأوا يفكرون بالإحتفاظ بمكاسبهم، ولأجل الإحتفاظ بهذه المكاسب، يجب التحالف حتى مع الشيطان، أو مع نصف الشيطان. أو مع ربع الشيطان بالتالي، فترى أن الصين الشيوعية اليوم تلتقي مع القوى اليمينية في العالم للإحتفاظ بمكاسبها وللتنافس مع الاتحاد السوفياني، والاتحاد السوفياني نفس الشيء.

إذاً حركة إنسانية، في مرحلة من المراحل كثيراً ما تتحول إلى مؤسسة، متى؟ عندما نشبح، الحركة في بدايتها شابة، ناشطة، متحركة، نخيف، نتحم، نقدم، إلى أن تنتهي أنفاس المؤسسين، فنشبح، ونفكر كيف نحفظ رأسها، ولا نصطدم مع الناس، نتحالف مع هنا، وهنا، نفكر بالإحتفاظ بالمكاسب.

الدكتور شريعتي، في أحد كتبه، يقول: في فرنسا رحت أشتري مجلة «جون أفريك» Jeune Afrique، فوجدت أن الأمن الفرنسي قد جمع نسخ هذه المجلة الفنية الإفريقية، فلت في نفسي: يا سبحان الله! فرنسا، معقل الحريات، مركز جميع أنواع الدعوات، من الشيوعية المتطرفة، إلى الترويسكية، إلى غير ذلك، إلى اليمين إلى الوجدانية، والوجودية، وكل أنواع الفكر، كيف فرنسا هذه تخاف من مجلة «جون أفريك» فتجمعها من السوق؟

السبب أن هذه مجلة شابة، حركة جديدة، نتحم ونخيف، بينما الحركات الأخرى كادت تتحول إلى مؤسسات لها وجودها.

طبعاً الدكتور شريعتي، كان أحد قادة الفكر الإسلامي في العالم. أفكاره قيمة جداً، وكان يحضر درسه الأسبوعي، حوالي ستة آلاف طالب وطالبة جامعيون أو منخرجون، في مؤسسة معينة باسم «النادي الحسيني للإرشاد».

طبعاً خورب من قبل الحكم في إيران، وخورب أيضاً من قبل مجموعة من رجال الدين، الذين يعتبرون الإسلام حكراً عليهم، وميراثه من حقه، وهم وحدهم يفهمون الدين، ولا يحق لأحد أن يفهم غيرهم.

هذا الرجل بالفعل كان مصدر الإلهام، والتفكير والعطاء لكثير من الحركات الإسلامية، من جعلتها حركتنا. ونحن سنحاول، بإذن الله، بالإضافة إلى العدد القادم من «أمل ورسالة» أن نخصص عدداً نلخص فيه أفكاره، ثم نترجم ونطبع أفكاره وكتبه ومحاضراته، حسب التيسر وفي حدود الإمكان، في لبنان، بإذن الله^(١).

يبدو شك، إن التيار الذي كان يحترم ويكرّم الدكتور شريعتي، كان تياراً ساحقاً، تقريباً الشبيبة المسلمة في إيران، وهو الذي جعل التيار الإسلامي في إيران أقوى من التيارات الحزبية

(١) السيد موسى الصدر كان أول من نقل كتب شريعتي ومحاضراته إلى اللغة العربية. وأول كتاب كان الشهادة والذي قُسم بإعادة نشره هذا العام ولكنه - السيد موسى الصدر - رفض حينها وضع اسمه على الكتاب كمترجم أو مترجم (الناشر).

الأخرى . يعني الجامعة كانت بيدهم ، والتأثير الإسلامي كان عميقاً
في المجتمع الإيراني ، حتى أن الشيوعيين استسلموا للحكم ،
وبقيت الحركة الإسلامية تقاوم وتدافع وتناضل .

الدكتور شريعتي ، من خسائر الفكر الإسلامي ، والفكر
الحركي ، الفكر النضالي المعتمد على الإيمان بالله سبحانه ، ولذلك
نحن نعبر ، فبيدنا وخسارتنا ، ونكزمه في هذا اليوم ، يوم علي ،
مولاه ومولاتنا ، ونبعث إلى روحه أيضاً ، ثواب الفاتحة^(١) .

الشهيد الدكتور مصطفى شمران^(٢)

رفيق الإمام موسى الصدر في لبنان
وأول وزير دفاع بعد انتصار الثورة

... وأنت أيها الرب الكبير قد منحنا (علي) لتعلمنا طريق

(١) بعد إنشاشة الشعب الإيراني المسلم في (١٩/٥/١٩٦٣م) ، ذهب الشهيد مصطفى
شمران(ره) إلى مصر (في عهد الرئيس جمال عبد الناصر) لتلقي تدريبات على
حرب المصاليات ، وبعد إنهاء تلك الدورة التدريبية أخذ على عاتقه تدريب
المجاهدين الإيرانيين خارج البلاد . ونظراً للموقع الاجتماعي الذي يتميز به لبنان ،
فقد وجد في جنوب لبنان منطقة مناسبة لنشاطاته والتي شارك فيها العديد من قادة
وزعماء الثورة وسهم نجل الإمام الخميني(ره) السيد أحمد الخميني(رحمه الله) ،
وتعاون مع الإمام الصدر (أعاده الله) من تأسيس «حركة المحرومين» والتي سبقت
فيما بعد «حركة أمل» .

عاد إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية ، فوضع حجر الأساس لمؤسسة حرس
الثورة الإسلامية من خلال تدريب أول مجموعة من الحرس . كما اتبى عن طريق
تولي منصب مساعد رئيس الوزراء لشؤون الثورة ، لحل المشاكل التي كانت تواجه
النظام الإسلامي . عينه الإمام الخميني شخصياً وزيراً للدفاع .

انتخب نائباً عن طهران في انتخابات أول دولة لمجلس الشورى الإسلامي ، ثم عينه
الإمام الخميني مستقلاً عنه في مجلس الدفاع الأعلى .

(١) صبرة الإمام الصدر . الجزء ١٦ ص ١٥٤ - ١٥٥ إعداد وتوثيق يعقوب صاهر . دار
بلاط - ط ١ ، سنة ٢٠٠٠ .

المشوق والفداء وطريقته ، لبحرني خالشمع وينبر لنا الدرب ، وما نحن نقدمه لك كأفضل هدية ليستقر عندك ويبدأ حياته الخالدة في ملكوتك الأعلى .

فسمّاً بالعدل والعدالة، أنك - علي شريعتي - كالموج المتلاطم تغلي في نداءات المظلومين ضد الظالمين ما دام الظلم والإضطهاد يُغفل كاهل البشر^(١).

مقدمة المطبعة الفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدف من نشر هذه السلسلة هو أن نقوم - بعون الله - بتحرير وطباعة كل نناجات الاستاذ الشهيد الدكتور علي شريعتي ، المسموعة فيها والمفروضة ، سواء نشرت من قبل أم لم ننشر بعد ، وذلك بأسلوب يتوخى الدقة والأمانة وبأخذ بعين الاعتبار جميع التعديلات والأرا، التي استحدثت لديه دون أدنى تصرف في ما هو المأثور عنه .

ومن هنا، فإن جميع كتابات وخطابات الاستاذ الشهيد والتي طبعت بلا اشراف منه ، سوف يصار إلى إعادة طبعها بعد مطابقتها مع الأشرطة والمذكرات الأصلية ، مراعاة للأمانة العلمية وتنادياً لحصول سوء فهم أو توظيف .

نسعى إلى تيوبب المطالب ونشر ما كان متوزعاً على كراسات صغيرة أو متوسطة ، في كتاب واحد ونحت عنوان واحد ، محققين بذلك أحد أماني استاذنا الشهيد «تراجع لهذا الغرض وصيته المنشورة في سلسلة الآثار - العدد ١» .

كل كتاب أو مجلد سوف يتضمن في آخره فهرس شاملة للأعلام والأمكنة والمصطلحات والمفاهيم . إن مهارة وحكمة استاذنا

وقام بتأسيس قيادة حرب العصابات في مدينة الأحواز ضد بلد الحرب مع العراق، جرح في ميدان الحرب عام ١٩٨٠م، ثم عاد إلى الجبهات بعد شفاؤه. استشهد في ٢١ حزيران عام ١٩٨١م عند إصابته بشظية قذيفة مدفعية في جهة الحرب بمنطقة الدهلاوية. (الناسر).

الشهيد في استخدام المفاهيم والمصطلحات الموجودة في نواتنا الاسلامي الايديولوجي وأيضاً في الثقافات والمدارس الفكرية الأخرى. هو إحدى الباقيات الصالحات لاسنادنا الشهيد وبالتالي فإن التمتع في هذا المجال يعد أمراً ضرورياً لمن يريد أن يوفق إلى التعرف على أفكار هذا الرجل الكبير واستشراف منبنياته الفكرية والعقائدية والنورية والاستفادة من هذا الرصيد الثريوي الغني.

بشار إلى أننا قد نورد بعض الإشارات مدعومة بذكر مصادرها، فيما إذا اقتضت الضرورة وذلك في قسم الملاحق.

جدير بالتأكيد والملاحظة أن الملاحق تم إعدادها من مكتب النشر، وعليه فهو يتحمل مسؤولية كل الأخطاء واليهفوات والقصور الذي يمكن أن يسجل عليها.

على أمل أن يحتر طلاب الحق وأصحاب الفكر الحز الملنزم في هذه السلسلة على أسلم نتائج الاسناد الشهيد وأكثرها نقاء وأصاله.

ملاحظات الناشر

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام أصلية وقسم رابع خاص بالملاحق يتألف بدوره من أربعة مواضع.

أما الأقسام فهي كالتالي وحسب الترتيب:

١ - الدين ضد الدين - وهو عبارة عن محاضرة في ليلتين

متوالتين ألقاهما الاستاذ الشهيد في صيف ١٩٧٠ م في حسينية الارشاد بطهران. وقد تم تحويل هذه المحاضرة إلى نص مفروء في حينها وبإشراف من الاستاذ نفسه. ومن هنا فقد أجرى المكتب مقارنة بين النص المحزور والكلام الموجود على الشريط واكتفى بإجراء بعض التعديلات الضرورية.

٢ - أبتاه أمامه نحن منعمون - وهذا القسم هو في الأصل محاضرة ألقاه أيضاً الفيت خريف عام ١٩٧١ م في حسينية الارشاد أيضاً، بعدها أجرى الاستاذ بنفسه تعديلات وأضاف لها أموراً أخرى ونشرت سابقاً على هيئة كتاب.

٣ - نعم، هكذا كان يا أخي ١ - هذا القسم محاضرة أخرى ألقاه الدكتور الشهيد خريف العام نفسه (١٩٧١ م) وفي نفس المكان (حسينية الارشاد بطهران)، ومن ثم أدخل عليها إضافات وتعديلات وجاءت توضيحاته على متن المحاضرة المحزور.

٤ - الملاحق، وتتألف من الأمور التالية:

الف : توينبي، الحضارة والدين - وهي عبارة عن حوارية كتبها الاستاذ بنفسه، ويبدو أنه أعدها في ضوء حوارات حرت بينه وبين توينبي في مشهد. ومما يلزم ذكره أن هذه المقالة تطبع لأول مرة وتاريخ كتابتها غير معلوم.

ب : وداعاً يا مدينة الشهادة - وهي مقالة كتبها الدكتور في أواخر

سنة ١٩٧٢ م بعد أن حرم من مواصلة التدريس في جامعة مشهد.

ج : لولا البابا وماركس - مقالة منه لا ينفك تاريخ تحريرها.

د : ندوة للإجابة عن الأسئلة والاشكالات؛ وهذه الندوة كما

يظهر من اسمها عبارة عن مجموعة اجوبة عن اسئلة واستفسارات

واتنفادات موجهة الى حسينية الارشاد بنحو عام وإلى شخص الاستاذ

شريعني على الخصوص، وتتألف من قسمين، الأولى انعقدت بتاريخ

١٤/١٢/١٩٧١ م وتحدث فيها اشخاص آخرون ممن لهم نشاط في

الحسنية، وحيث ان الحوارات مترابطة، أشرنا ابراد كلمات بقية

المشاركين في الندوة الأولى مع ابراد اسمائهم.

في الختام، يشار الى النقاط التالية:

١ - في كل مورد نضطر فيه لإضافة عبارة ربط أو توضيح فأننا

نضعها بين حاصرين من نوع [] .

٢ - في الموارد التي بنعذر علينا بتشخيص كلمة (من مقال أو

شريط) أو حتى حدسها بصار الى وضع العلامة التالية: "... * " .

مكتب تدوين وتصنيف

سلسلة نتائج الشهيد الدكتور علي شريعني

آذار / ١٩٨٢ م

كلمة بخصوص الترجمة

١ - بالنسبة للقسم الثاني من الكتاب أي محاضرة (أيتاه أمام

نحن متهمون) فلم نقم بترجمته في هذا الكتاب لأنه مترجم ومشتور

من قبل، ربه من دار النشر بكتاب مستقل.

٢ - عرفت عن ترجمة القسم الأول من الندوة الواردة في الكتاب

لاشتماله على أقوال وكلمات أفراد آخرين، ولم تكن هناك ضرورة

ملحة لإيراد كلام الاستاذ الشهيد فيها، وذلك ان الندوة الثانية التي

خصصت للاستاذ وحده تكاد تكون مشتملة على كل ما أورده في

الندوة الأولى فلم نر داعياً لتطويل المسافة على القارىء.

٣ - من المناسب التنويه الى ان الكتاب يشتمل على أقسام

متباينة من حيث الأصل فبعضها محاضرة وبعضها مقالة وبعضها حوار

في ندوة، الأمر الذي قد ينعكس على أسلوب الكلام وبالتالي الترجمة،

لذا اقتضى التنويه .

المترجم

الدين ضد الدين

موضوع حديثي لهاتين التيلتين هو (الدين ضد الدين).

وربما يبدو هذا العنوان غامضاً، وهذا الغموض ناجم عن فتاعة هامة لدينا بأنّ الدين كان دائماً ضد الكفر، وأن المعركة استمرت تاريخياً بين الدين واللا دين، فيكون التعبير (الدين ضد الدين) متطوياً على قدر من الغموض والغرابة والاستنكار، بينما قد توصلت أخيراً - وربما من قبل ولكن ليس بهذا المستوى من الوضوح - إلى أن الحقائق التاريخية تؤيد عكس النصور الآنف الذكر وأن الدين لم يكن يواجه إلا بالدين، خلافاً للتصور الساذج الذي نحمله اليوم.

بدلاً من التمسك إلى أن الحديث عن التاريخ هنا لا يراد منه المعنى الاصطلاحي الشائع والذي يعبّر به عادة عن تاريخ ظهور الحضارة أو اختراع الكتابة، بل أقصد بداية الحياة الاجتماعية للنوع الانساني على وجه الأرض. وفي ضوء ذلك فإن التاريخ الذي اتحدث عنه نعود بداياته إلى ثلاثين أو أربعين وربما خمسين ألف سنة، بينما التاريخ بمعنى بداية المدنية واختراع الخط لا يتعدى قدم ستة آلاف عام. بالتاريخ بالمعنى المختار يشتمل على دراسة الآثار القديمة وعلم

الأرض والاجتماع والبحث في النقص والاساطير القديمة بما يوفر لنا علماً اجمالاً حول حياة الانسان بأجياله الأولى ومنهجه الحيائي والعقدي.

فعلى مدى هذا التاريخ الذي فلنا ان بداياته وصلت اليها عبر الحكايات والاساطير وكلما اقترب الزمن نحونا أصبح في متناول أبدنا مستندات ووثائق بشأنه، كان الدين هو المدو اللدود المناويء للدين السائد، وذلك أن المجتمعات البشرية في جميع مراحلها لم نخل من دين ابدأ، اي ان التاريخ لم يحدثنا عن مجتمع عاش بدون دين، في أي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، وفي أي نقطة على وجه الأرض.

صحيح، اننا ربما نصطدم في القرون السناخرة.. حيث نمت مظاهر المدنية والفكر والفلسفة.. بأشخاص يتكرون وجود الضالين أو المعاد، غير ان هؤلاء الأشخاص لم يحدث في وقت من الأوقات ان يرتفوا الى مستوى طبقة أو فئة اجتماعية معتد بها. وحسب قول كارل: (فإن التاريخ ضم بين دقنيه مجتمعات عاشت وانفرضت ولكن هذه المجتمعات كانت ذات نظم ديني بشكل عام).

إن المحور الذي يفوم عليه مجتمع ما، هو ايمانه الديني ومعتقداته المذهبية، حتى ان الظاهر الخارجي للمدن ينعكس حقيقة الوضع الروحي للمجتمع الموجود فيها.

خلال القرون الوسطى، وقبل ظهور المسيح، كانت المدن في الغرب وفي الشرق تتألف من مجاميع من الدور والمباني ينسب على نسق معين وبالاتحاد الى معايير طبقية أو قبلية بحيث يكون لكل قبيلة أو طبقة، محلة محددة تقرب أو تبعد عن مركز المدينة حسب المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها تلك القبيلة أو الطبقة، وعلى أي حال فإن قاسماً مشتركاً يمكن ملاحظته في المدن المتحضرة، شرفية كانت أو غربية، كونها تحمل طابعاً رمزياً، أي ان نظم المدينة لا يكون اعتبارياً بل بتطوي على دلالات معينة، وفي الغالب يتم ابراز هوية المدينة من خلال طريقة بناء معيها. طبعاً هذه الحالة أخذت بالزوال والانتراض هذه الأيام. فمدينة طهران مثلاً ليس لها طابع رمزي، بمعنى ان طريقة تنظيم مبانيها وشوارعها لا تستند الى محورية معينة، لا دينية ولا غير ذلك. بينما روعي هذا الأمر في بناء مدينة مشهد، إذ لو اخذنا للمدينة صورة جوية، سوف يتجلى فيها بوضوح الطابع الرمزي للمدينة، حيث تظهر الينابيع فيها وكأنها تنحور حول شجرة في الوسط، وهذه الشجرة ترمز الى هوية المدينة وتمثل بطاقتها الشخصية.

والسؤال الذي يطرح الآن، لماذا كان بناء المدن يتم بهذا الطريقة الرمزية؟ والجواب واضح، فإن أي حضارة أو دولة أو مدينة لم تكن تنوم في السابق إلا على أساس ومركز ديني. يمكنكم ملاحظة جميع الكتب الموجودة لدينا حول تاريخ نشوء المدن مثل: (تاريخ قسم)

و(تاريخ يزد) و(فضائل بلخ) و(تاريخ بخارى) و(تاريخ نيسابور) وغيرها... ستجدون ان جميع تلك الكتب تتفق على ارجاع ظهور المدينة الى وازع ديني أو مناسبة مذهبية، كأنهم غير قادرين على التصديق بأن مدناً كبيرة كهذه يمكن أن ترى النور دون أن يكون وراء ذلك عامل ديني أو معنوي، فلا بد من وجود نبي مدفون في المنطقة التي توجد فيها المدينة، أو شخصية دينية صالحة، أو حتى واقعة دينية من ظهور معجزة أو غيرها. خلاصة الأمر انه لا بد من اقتراف مبرر ديني وعقدي لوجود مدينة أو نئو، كيان حضاري. وهذا يكشف عن حفيظة مخافها ان المجتمعات الانسانية القديمة، وعلى اختلاف انواعها وانماطها، كانت تأتلف على أساس عنصر مشترك هو (روح الدين) الموجود في ضمير الانسان القديم مهما كان نوع المجتمع الذي ينتمي اليه. طبقياً أو قبلياً، حضرياً أو بدوياً.

وفي ضوء ذلك فإن ما نفهمه اليوم من كلمة (الكفر) من عدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة والله والعماد والغيب والمقدسات، ليس له واقع موضوعي، وذلك أن جميع أبناء البشر مستغفون على الايمان بهذه المبادئ والأصول العامة. وأما المعنى الذي نفهمه اليوم من (الكفر) بمعنى اللادين فهو معنى مستحدث وطاريء، ويعود الى القرنين أو الثلاث فروع الأخيرة، أي فترة ما بعد الفرون الوسطى، وهو معنى فام القرب بتصديره الى الشرق كبضاعة فكرية. في ضوءها أصبح الكفر

يعنى عدم الاعتقاد بالله وبكل ما وراء الطبيعة والعالم الآخر. بينما اذا ألفينا نظراً على تاريخ الاسلام ونصوصه القديمة بل تاريخ جميع المذاهب والاديان يتضح لنا انه متى ما جرى الحديث عن الكفر فليس يفتنون بذلك الحالة اللادينية، وذلك ان حالة كئلك لم يكن لها وجود أصلاً.

وعليه فالكفر هو نوع من الدين أيضاً، بطلفه أهل الأديان عادة على من لا يستجمل نحلته ولا يدين بدياتهم. ولهذا قد تستقابل الإطلاقات ما بين أهل ديانتين فيعتبر كل منهم الفريق الآخر كافراً.

والحاصل انه متى ما ظهرت دعوة دينية، سواء على صعيد تاريخ الأديان الابراهيمية أو على صعيد المذاهب الغريبة والشرفية وبأي نحو كانت، فهناك قضيتان أساسيتان:

الأولى: ان هذه الدعوة الدينية تظهر على رغم وجود الديانة السابقة بل لمواجهة.

والنضية الثانية: ان الديانة القديمة وأهلها سوف يكونون أول من يصرّ الحرب ويعلن المواجهة ضد التادم الجديد.

وحينئذ فتحن الآن بإزاء قضية في غاية الأهمية، من شأنها ان تحول أهم المشكلات المعاصرة على صعيد إصدار الأحكام بواسطة الشخصيات المستتيرة في عالمنا هذا، وتسهم في التحليل العلمي

والتاريخي لأخطر حكم أصدره المستشرقون حول الدين، والفاطحي بأن الدين يتنافى مع الحضارة والتقدم وأرادة وحرية الشعوب، أو هو عبي أحسن الأحوال غير قادر على مواكبة هذه الأمور.

وهو حكم لم يأت جزافاً بل على أساس مفردات واقعية وأرقام علمية وتجاروب تاريخية متكررة. إن هذا الحكم ليس حكماً تعسفياً نابعاً عن حقد وكراهية أو جهل مطلق، وإنما هو حكم مستند إلى مبررات علمية ومشاهدات عينية ووقائع اجتماعية وتاريخية مدعومة بأدلة وأرقام.

ومع ذلك، فأننا اعتقد أن هذا الحكم غير صائب، وذلك لأن أصحابه وقعوا في الخطأ ذاته الذي وقعنا نحن - أنصار الأديان - فيه، وذلك في عدم التفرز بين الدينين، ونخيل المواجهة بين الدين واللا دين، فتميل أولاً إلى إثبات الدين بشكل إجمالي عام ومن ثم تنتقل إلى إثبات دينا بشكل خاص، وهذه منهجية خاطئة في البحث. هذا الخطأ وقع فيه المناهضون للأديان في أوربا في القرنين الأخيرين خاصة القرن التاسع عشر حيث بلغت فيه موجة المناهضة للدين أوجها في أوربا. والسبب عدم قدرتهم على التفرز بين شكلين من الدين مع شدة الاختلاف بل والتناقض والتخاصم الدائر بينهما على الدوام، وبالتالي أصدروا حكمهم بناء على وقائع وأرقام حسبة وواقعية لمسوها من خلال النمط القائم من الدين. وحيث لم يكونوا قادرين على إدراك النمط الآخر

عقمو الحكم على الدين بمطلق اشكاله دون أن يسمروا بأن الحكم الذي أصدروه ينطبق على نصف الحقيقة ويهمل نصفها الآخر، بل ويتجنى عليه، وذلك لأنه ثمة نمط آخر من الدين يختلف اختلافاً جوهرياً عن النمط الذي اصطدموا به ويمارسات أنبعا، وهذا الاختلاف ينسحب على جميع خصائص وصقات كل نمط بحيث لو أردنا إثبات صفة لأحدهما نعتنق فيها عن الآخر.

وأود الإشارة هنا إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي أنني ربما ألتجأ إلى استخدام نفس المصطلحات المتداولة بيننا، ولكن أعني منها معنى غير المعنى الرائج والشائع، لذا أرجو من الأخوة أن لا يسارعوا إلى فهم المصطلحات وفق ما هو مرتكز في أذهانهم ومن ثم يصدروا أحكامهم على خلاف المعنى الخاص بي والذي أريده من الاصطلاح الوارد في كلامي، وسوف ألتجأ إلى تحديد المفاهيم التي أعنيها من المصطلحات التي أكثر استخدامها نعتباً من وقوع ليس أو خلط بين معنيين متفايرين تماماً، وهذه الاصطلاحات هي: الكفر والشرك وعبادة الأوثان.

الكفر

الكفر بمعنى السخر والتخطية وهو من الزراعة حيث تزرع الحبة

ومن ثم تغطي بالتراب. ووجه الاقتباس ان الكافر يظلي على الحقيقة الناصعة في قلبه لأسباب وعلل كالجهل والانتهازية. والكفر ليس بمعنى تغطية الدين باللادين بل بمعنى تغطية الدين بواسطة دين آخر.

الشرك

هل يعني الشرك عدم وجود الإله؟ كلا. إذ المشركون لهم آلهة أكثر منا! المشرك ليس هو الشخص الذي لا يؤمن بالله إذ لا وجود لشخص كهذا.

ومن المعلوم ان الذين وقفوا بوجه عيسى وموسى وإبراهيم هم مشركون وليسوا ملحدين. فمن هم المشركون إذن؟ بالطبع ليسوا أشخاصاً لا يؤمنون بالرب، بل على العكس هم فئة يؤمن أفرادها بأرباب كثيرين. وعليه لا يمكن من الناحية العلمية اطلاق وصف المشرك على افراد عددي الاعتقاد الديني. وذلك لأنَّ المشرك يعتقد بوجود معبود بل أكثر من معبود وهو يؤمن بمعبوديته لهذا المعبود ويحتفد بتأثيره في مصيره ومصير العالم الذي يعيش فيه وهو يمتلك نظرة الهية مثلما لديها تلك النظر.

وعليه فمن الناحية الحسبة بمدَّ المشرك انساناً منديناً وإن اخطأ الهدف من حيث المصداني وسلك طريقاً مغلوطاً. وواضح ان الدين

الغلط شيء واللادين شيء آخر يختلف عنه اختلافاً جوهرياً. وحينئذ يمكن القول ان الشرك دين بل هو أقدم انواع الأدبان في حياة المجتمعات البشرية.

عبادة الأوثان

ان عبادة الأوثان لون خاص من ألوان الشرك. وليس شيئاً مرادفاً للشرك فالشرك عنوان لدين معروف على طول التاريخ. وعبادة الأوثان كان شكلاً من أشكال هذه الديانة فمي إحدى مراحلها النار بخية. ولك ان نقول ان عبادة الأوثان هي قرفة من فرق الشرك بشيئ اتباعها بأنهم يصنعون التماثيل والأصنام إنما لكي يعبدوها أو لكي ينفريوا بها إلى المعبود الأصلي ويعتبروها واسطة بينهم وبينه. وعلى أي حال فانهم يؤمنون بأنَّ له قدرة تأثير على مجرى الحياة بشكل أو بآخر.

غير ان القرآن عندما بهاجم (المشركين وعبدة الأوثان) وينتقدهم بسفيد من الفاظ عامة وذلك نحسباً من إيقاع الناس بالخطأ الذي وقعنا الآن فيه. ولكي لا يفهم من القرآن ان الاسلام قام لمواجهة خصوص هذا النمط من الشرك بالله -نمط عبادة الأوثان- بل ان النهضة الدينية التي قادها النبي تستهدف الاطاحة بكل مظاهر الشرك مهما كان

شكله ولونه. شأنه في ذلك شأن سائر الأديان والحركات التوحيدية.

إننا نفع في وهم كبير عندما نتصور أن الطرف المقابل لنا (دين الشرك) يتجسد في شكل واحد هو عبادة الأصنام. في حال أن قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْنُونَ﴾ يستلطن - بنفسه - الرد على هذا التوهم الابتدائي، وذلك إننا لو راجعنا التاريخ بطوله والجغرافيا بعرضها نجد أن البشرية لم تقتصر على نحت الصخر ومن ثم عبادته، بل نحتت لها مختلف الأمور، مادية أو غير مادية، ثم تعلقت بها إلى حدّ العبادة، وهذه ظاهرة إنسانية عامة عانت منها المجتمعات البشرية وتعاني إلى الآن بصور مختلفة، بشكل عبادة الأوثان نموذجاً منها طبعاً وما زال يطبق في بعض المجتمعات الجاهلية العربية والأفريقية.

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْنُونَ﴾ عبارة عن مبدأ عام يتضمن تعريفاً شمولياً لأسلوب العبادة في دين الشرك، ذلك الدين الذي ظل يواكب دين التوحيد خطوة بخطوة على مرّ التاريخ. ولم يستوقف أو يتقرض لافي عصر النبي إبراهيم ولا بعد ظهور الإسلام. بل ما يزال شأنماً وسيبقى.

خصائص دين الشرك

(هذا بحث في تاريخ الأديان، وسوف أبذل سعيي لاستخدام

مصطلحات مأثورة ومتداولة على صعيد الإسلام وتراثنا الأدبي).

في أحد ختدفي المواجهة يقف دين التوحيد وعبادة الله . الله بمعنى العلم والارادة والخالق والتدبير، هذه هي صفات الرب في جميع الأديان الإبراهيمية. الخالق لأنه خلق هذه العالم بأسره، والمدير لأن حركة هذا العالم تجري بإرادته. وهو مراد له مطلق الحرية في الحكم على الوجود، وعالم لأنه ينصرف انشغالاً تاماً على كل ما في الكون. في الوقت نفسه فإن هذا الرب حدّد هدف الخلق وغاية وجود العالم، ولقد كانت عبادة هذه القوة المطلقة تمثل الشعائر الأعلى الذي رفضه جميع الأديان الإبراهيمية، وعرف به إبراهيم شخصياً، وهذا الشعائر يعني دعوة جميع بني البشر إلى عبادة قوة واحدة نافذة في الوجود. والسير نحو هدف واحد للخلق، والإيمان بوجود قدرة واحدة مؤنزة في كافة أنحاء الوجود والاستناد إليها في جميع مناحي الحياة.

التوحيد

إن الدعوة المعروفة تاريخياً بدعوة التوحيد، لها بعد مادي يرتبط بهذا العالم، ويمثل بأن من يؤمن بأن هذا الكون بأسره مخلوق بواسطة قوة واحدة. وإن هناك قدرة واحدة تتحكم بأطراف هذا الوجود من مجتمع إنساني أو حيواني أو نباتي أو حتى الجمادات، دون أن يؤثر في هذا الوجود شيء آخر، آنذاك يكون من شأن هذه الرؤية التوحيدية

الالهية ان يكون لها انعكاس على صعيد الحياة الانسانية لأن من يؤمن بأن الكون عبادة عن امبراطورية واحدة يحكمها مصدر قوة واحدة وان البشر خاضعون لإرادة واحدة وينتمون الى جنس واحد ولهم الله واحد تضمحل أمامه كل الوجودات والمظاهر والقوى الأخرى. ان من يؤمن بذلك سوف ينظر الى هذا العالم نظرة كلية يراء من خلالها كأنه جسد واحد تتحكم فيه روح واحدة وحين ينظر الى البشر بمرآة افراداً متساوين ومتماثلين لأنهم خلفوا بيد واحدة وعلى ونيرة واحدة.

هذا الدين التوحدي هو أحد الديانتين اللتين اشترت لهما وهو يقوم على اساس عبادة وب واحد والايما ب قوة واحدة مستنفذة في مصير المجتمعات الانسانية على طول التاريخ. وكما قلت فإن من لوازم توحيد الاله توحيد العالم ومن لوازم توحيد العالم توحيد الانسان.

من جهة أخرى فان هذا الاعتقاد البشري يمثل ميلاً فطرياً نحو عبادة القوة الواحدة والايما بالفداسة - بحسب تعبير دوركايم^(١) - أو الايما بالغيب بالتعبير القرآني. والدليل على فطرية هذا الاعتقاد

(١) دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧)، عالم اجتماع فرنسي معروف، كان استناداً في جامعة السوربون، كان دوركايم يعتقد أنه يتعين على علم الاجتماع أن يدرس المجتمع كنوع خاص من الواقع الروحي - تختلف قوانينه عن قوانين علم النفس الفردي. له عدة مؤلفات منها: «حول تقسيم العمل الاجتماعي»، «قواعد المنهج في علم الاجتماع»، «الأنشكال الأولية للحياة الدينية»، «أطروحة الموسوعة الفلسفية»، ص ٢٠٠، (مترجم)

وفطرية كل اعتقاد آخر هو دوام هذا الشعور وشموليته لجميع الافراد لجميع الأومان ما يدل على أنه امر غريزي، ولو أودنا ان نستقصي في اعماق التاريخ لما وجدنا أمة عاشت يلا دين ولا عبادة.

ان هذا الشعور والحنن التعيدي الملموس في هذا الدين يترجم الى معرفة بهذه القوة المنسرفة على العالم، وبالتالي التعرف على العالم كموجود حي فادو حتناس له ارادة وغاية وهدف. مضافاً الى ان هذا الشعور التعيدي التوحدي سوف يتجلى تاريخياً في واقع اعتقاد بوحدة البشرية بشتى ألوانها وأقوامها وطبقاتها وأعراسها. ومن ثم وحدة الحق والقيمة والمنزلة.

وعلى الخط الآخر سيفود دين الشرك أصحابه الى نتيجة معاكسة فيتحول الشرك في كل حقبة زمنية الى عدو لدود لأديان التوحيد بها جميعاً او بقاومها وبحول دون اتساع الرقعة الجغرافية او السكانية التي تمتد عليها.

لا توجد فرصة للتطرف الى تاريخ الأديان منفصل بسنن مضى مفردات وحفائظ هذا الموضوع بشكل تام، غير أن بمقدورنا بحث دين الشرك من خلال دعوات الأنبياء العظام. وفي هذا السياق نؤكد لنا القصص الواودة في التوراة والكتب المرتبطة بها وكذلك قصص القرآن والروايات ان أعنى قوة جايهت رسالة النبي موسى وألحقت بها أشد الضربات هي حركة (السامري) و(بلعم بن باعورا).

السامري

يعد نجاح موسى في إقناع قومه بالتوجه لعبادة الله الأحد وهجر عبادة الأوثان والمجمل والوجودات الأسطورية التي كانت تمثل جميعاً مظاهر لدين الشرك آنذاك، في ذلك الوقت ظهر السامري ليحيي من جديد سنة عبادة المجمل بأن اعتمد فرصة غياب موسى عن قومه قصص لهم عجيلاً ودعاهم لعبادته.

ذلك الرجل الذي نحت عجلًا بغية أن يعبد بنو إسرائيل بدلاً من (يهورا) و (الله) لم يكن إنساناً لا دين له، بل على العكس كان مسبقاً للعقيدة وداعية للدين!

يلعم بن باعورا

هل كان هذا الرجل فيلسوفاً مادياً أو ملحدًا دهرياً أو شخصية مثل مترلينغ أو شوبنهاور^(١) كلا، يلعم بن باعورا كان صاحب أعلى مقام ديني في زمانه، وكان كعبة المندبين وعموم الناس في ذلك الوقت ومع ذلك فقد نهض لمعارضة دعوة موسى النبي مستغلاً إيمان الناس

(١) آرثر شوبنهاور، فيلسوف ألماني، ولد عام ١٧٨٨، وتوفي عام ١٨٦٠، من أشهر كتاباته «العالم كإرادة وتصور»، «الفرعخ».

وتقتهم به، ما أدى إلى انزاع ضربات مؤثرة بدين التوحيد ووسيلة موسى.

الفريسيون

انظروا إلى عيسى ابن مريم كان سبب معاناته الطويلة والمصائب التي طل بتعرض لها إلى اللحظة الأخيرة، و - بزعمهم - الإبادة التي تعرض لها، وغير ذلك من الممارسات الخيالية والتهم والافتراءات التي وجهت إليه وإلى أمه؟ من كان وراء ذلك سوى الفريسيين؛ أتباع وأنصار الدين القائم في ذلك الزمان، لم يكونوا مادييين ولا زنادقة ولا دهرين، بل هم أناس ظلموا بمتقنون بدين الشرك الذي جاء عيسى لاجتثاث جذوره.

مشركو مكة

وانظروا إلى نبي الاسلام، فهل كان الأشخاص الذين عقدوا لواء المعارضة والمناوئة له وسألوا سيوفهم عليه في بدر وأحد وهوازن والطائف ومكة هل كانوا يدعون دين أو لم يكن لهم حس ديني؟ كلا لا يمكن العثور على شخص بينهم كان بهذه المواصفات كانوا جميعاً أصحاب عقيدة، حقيقة أو ادعاء، وكان شعارهم القضاء على النبي، على

محمد بن عبد الله وأتباعه، بدعوة انتهاكهم لحرمة بيت إبراهيم ولأنهم صلبوا عن دين آباؤهم وخرضوا الأصول والمفاسد، أنهم يريدون القضاء على هذه الأرض المقدسة (مكة) وتحطيم الأصنام التي هي الوسطة بين الله وعباده. وعليه فالشعار الذي رفعته فريش والعرب من ورائها ضد الاسلام والنبى هو شعار الدين ضد الدين.

ومن بعد النبي، استمر هذا الشعار يرفع ولكن بشكل مختلف. هذه الرؤية يوجه علي واتجاهه الذي كان يحمل روح الاسلام الحقيقي ويسعى للحفاظ عليه. من الذي واجه علياً هل هم الكفار ومن لم يكن لهم دين، وهل كان الشعار المرفوع يدعو الى انكار وحسد الله أو ان الاعتراف بنطق آخر من الدين في مواجهة التمسك الأصل، هو الذي أدى الى نشوب الحركة - تاريخياً - بين آل النبي وآل أمية ومن بعدهم آل العباس.

ان عبادة الله هي أبرز خصائص هذا الدين الابراهيمى - واتسا اصطلاح عليه بالابراهيمى كما يتستى لكم فهمه بوضوح - . فعلى مرّ التاريخ كان نعمة دين توحيدى يدعو الى عبادة معبود واحد هو خالق كل الكون والمهيمن على كل شيء فيه وهو الذي يرسم الطريق للبشرية جمعاء ويحدد هدف التاريخ وصوغ القيم الإنسانية على معيار محدده وهذا الدين يقف بوجه كل الحركات الداعية لعبادة الطاغوت من أينما أدم الى النبي الخاتم والى نهاية المطاف البشرى. ويدورهم يقف عبدة

الطاغوت - على اختلاف أصنافهم - بمواجهة هذه الحركة الاعتقادية التي تدعو الانسان الى الانقياد لتواقيس الكون الكبرى والتسليم بإزاء الإرادة الإلهية الحقبة التي رسمت طريق الخلقة وحددت لها هدفها العظيم وغايتها القصوى مستثلة بالله! هؤلاء العبدة لا يألون بجهداً **بأنفوق** بوجه دعوة كهذه اسمها (الاسلام)^(١) ويتمددون وضع العراقيل في طريق أهدافها.

يبدآن هذا الدين الذي يد - الى الانقياد المطلق لإرادة الربّ - هو - في الوقت ذاته وللأسف ذاته - يدعو الى الثورة والطفان على كل **ها** سواء وكل خطاب فيه الى عبادة الله بتجسّد شخصائياً الى نبذ عبادة الطاغوت - وعلى الجانب الآخر يحصل الشيء ذاته مع دين الشرك حيث يدعو أتباعه الى الطغيان بوجه ناموس الكون الاعظم والنمرود **هلى** الإرادة الالهية ورفض دعوة الاسلام وذلك امتداداً لدعوته الى **هبرو** به القوى والأقطاب الأخرى التي تجسّد بتفسيها مفهوم الأكله المتعددة.

الشرك يعني الطغيان على العبودية لله ولكنه في نفس الوقت يعني التبوذ والتسليم للأصنام (بمناهاها الشامل لكل ما يتخذ البشر آلهة زوراً وتزويراً بمعونة جهل الناس وظلم الحاكسين). ان عمل

(١) القرآن يصرّح بأنّ الاسلام هو اسم لجميع الأديان الحق. فإن الدين عند الله الاسلام.

الطاغوت يتجلى في الظلمين بوجه القوة العظمى المهيمنة على عالم الكائنات، وأيضاً في التسليم بوجه (ما تنتحون)، وهذه (الما تنتحون) شاملة لكل ما من شأنه أن يكون صنماً بعيد من لادّ وعزى أو مأكنة ورأسمال أو دم وعرق، إن هذه جميعاً نماذج تطبيقية لمفهوم الطاغوت الذي يقف في مواجهة الله.

ومن خصائص دين التوحيد أيضاً الطابع النضدي الهجومي الثوري الذي يتصف به، وذلك في مقابل الطابع التبريري الذي يشكل السمة الأكثر بروزاً من بين السمات الأخرى لدمن الشرك بمفهومه الأوسع.

ماهية الدين الثوري

الدين الثوري هو دين بغّدي أتباعه ومعتقيه برؤية نقدية حيال كل ما يحيط بهم من بيئة مادية أو معنوية، ويكسبهم شعوراً بالمسؤولية تجاه الوضع القائم يجعلهم يفكرون بتغييره ويسعون لذلك فيما لم يكن متاحاً.

إن السمة الأساسية لهذا الدين - الدين التوحدي - أنه يتفادي تبرير الوضع القائم تبريراً دينياً ولا يؤمن بمبدأ الرضوخ للأمر الواقع أو اتخاذ موقف اللامبالاة حيال ما يحيط به. لاحظوا حركة الأنبياء

سوف يتضح لكم أن الأديان التوحيدية، خاصة في مراحل ظهورها الأولى أي فترة نقائها عن الشوائب والتشريف، تنسم عبادة بطابع رفض للوضع القائم ونزعة نورة ونرد على كل جور وفساده وهذا النمرود والطغيان بأنني متصاحباً مع العبودية والخضوع لموجود الكون، والافتقار لقوانين الوجود التي تستجلى فيها الإرادة والقدرة الإلهية.

أمعنوا النظر في جميع الأديان، موسى مثلاً نهض تأخراً بوجه الاضطهاد الثلاثة، فاروق أكبر وأسمالي في زمانه ويلمح بن باعورا مثلاً لأكثر شخصية دنية العراقية، وفرعون الذي يده القدرة السياسية لذلك العصر.

والآن ما هو ذلك الوضع الموجود؟ إنه المذلة التي طوّقت رقاب الأسباط بواسطة الأفياط في واحدة من أجلى ممارسات التمييز العرقي حيث كان الأقباط ينصرفون مع الأسباط من منطلق الشعور بالتفوية والاستعلاء.

إنها حركة ثورية لمواجهة وضع اجتماعي طغي فاسد يسوّغ لبعض الطبقات استغلال الطبقات الأخرى. وتهدف هذه الحركة إلى استبدال الوضع القائم بوضع آخر مثالي وتحقيق هدف محدد للحياء وهو تحرير قوم من الأخر وأرشادهم إلى الأرض الموعودة وتأسيس مجتمع يقوم على دعامة العفيدة والرسالة الاجتماعية الرافضة لعبادة

الطاغوت، والقضاء على الطواغيت الذين يمزجون بين نوعين من أنواع التعصبة والتعصب، ومن ثم افراو مبدأ التوحيد لكي تتجلى فيه الوحدة البشرية والمعادلة الاجتماعية.

ماهية الدين التجريبي

يسمى دين الشرك دائماً إلى تحرير الوضع القائم غير شرويع المعنفات ذات الصلة بما وراء الطبيعة ويسمى إلى تحريف الاعتقاد بالعماد والمقدسات والقوى الغيبية وبشوء الميادي، المفاندية والدينية ليضع الناس بأن وضمهم الراهن هو الوضع الأمثل الذي يجب أن يرضوا به لأنه مظهر لإرادة الله تعالى وهو البصير المحتوم الذي كنيه الله عليهم.

إن القضاء والتفكر بالمعنى الذي تفهمه اليوم هو من مخلفات معاوية وإرث منه. فالنار يخبري لنا أن الاعتقاد بالندو والقول بالجبر أمور ابتدئها حكام بني أمية ليلبسوا من المسلمين الشعور بالمسؤولية ويحرموهم - من خلاله - من كل أنواع النقد ويقتلوا ووجع المبادرة فيهم لأن الجبر يعني الانصياع إلى كل ما هو موجود والخضوع لكل ما هو كائن. في حين كان أصحاب النبي (ص) يشعرون دائماً بالمسؤولية الاجتماعية ويأخذونها على عاتقهم كهمة أساسية ودائمية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يبنيان ديان إلى أفعالنا بمعناها الميتدل الذي لا يسعنا التحدث عنه في الأوساط الفكرية المتفتة، هما عبارة أخرى عما يستطيه المفكر الأوروبي اليوم «المسؤولية الإنسانية» أو «مسؤولية المبدع» أو «مسؤولية المستقب». ماذا تعني المسؤولية المبحوث عنها في الفلسفة والفن والأدب في هالمتنا اليوم؟ أنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعينه غير أننا مستحقنا متى هذين المبدأين بحيث أصبح العمل بهما عملاً مرفوضاً ومستهجناً.

استمرار دين الشرك

إن رسالة دين الشرك وهدفه كما ذكرت آنفاً هي تحرير الوضع الموجود. ما هو المقصود من تحرير الوضع الموجود؟ نحن نجد أن أبناء المجتمعات البشرية قد صنفوا في المناويع إلى الشريف والوضيع والسيد والعبد والتفبد والمستبد ونرى الشرائع والطبقات الانسانية قد قسّمت إلى فئات ذات ماء ونزاد وعرق مذهبي وفئات أخرى فاقدة لكل هذه المزايا، وشعوب ذات افضلية دائمة على الشعوب الأخرى وطبقات اجتماعية مفضلة على الطبقات الأخرى وقبائل مرجحة على القبائل

الأخرى. هذه المتفادات السائدة في حياة الناس هي في حيد ذاتها جاءت لتبرز الوضع الموجود.

يجب أن يكون هنالك نمذ في الآلهة وتعدد في أقاليم الالهية لكي يتحقق وينمر التعدد القسوي والطبيعي والقبلي والعرفي في المجتمع وفي العالم.

قد يستطيع بعض الناس أن يحرروا البعض الآخر بالثروة ويحصلوا على امتيازات حفرقية واقتصادية واجتماعية غير أنهم لا يستطيعون المحافظة على هذه الامتيازات بمنطق القوة. انما نرى الأقوياء يحصلون دائماً على هذه الامتيازات في التاريخ ولكنهم يخفقون في المحافظة عليها.

وهنا يلعب الدين - أي دين الشرك - دوره الأساسي في حفظ هذا الوضع. وتتمثل مهمته هنا في إخضاع الناس وانساعهم بأن هذا الوضع هو تجسيد لمشيئة الله وأرادته وأن انتماء الفرد للطبقة الوضيعة لم يكن بسبب وضاعة ذاته فعسب بل لأن ربه وإلهه وخالقه هو أدنى مرتبة من إله العرق الآخر وأقل شأناً من رب الطبقة الأخرى.

قاعدة حماد دين الشرك الاجتماعية

عندما يعم التمييز والاختلاف الطبقي والعرق في المجتمع بأخذ

دين الشرك على عاتقه رسالة تكريس هذا الوضع وتثبيتته. ولذا ترى في التاريخ أن مؤسسي دين الشرك والمحافظين عليه في زمرة الطبقات الاجتماعية العالية بل قد تراهم أسمى درجة وأغنى مالا وأكثر هيمنة من الطبقة الحاكمة.

انظروا إلى رجال الدين المجوس إبان الحكم الساساني ولاحتظوا هيمنتهم على العائلة المالكة والعسكر.

لاحظوا القساوسة في أوروبا والحاخامات في قوم بني اسرائيل والسحرة والكهنة وزعماء الدين في القبائل الوثنية في افريقيا واستراليا. انكم ترونهم جميعاً مع الهيئة الحاكمة يدأ في يد وكشفاً إلى كشف. وقد ترونهم أحياناً يهيمون على الهيئة الحاكمة أيضاً.

فقد تصل نسبة الاملاك التي كانت في حوزة القساوسة في أوروبا إلى أكثر من سبعين بالمئة وفي العصر الساساني كانت أملاك علماء الدين المجوس والأراضي الموقوفة على المعابد والأماكن المقدسة تزيد أحياناً على أراضي الاقطاعيين والمالكين الكبار.

وخلافاً لما تنصونه نرى الانبياء - الانبياء الذين نعتقد نحن بهم - تراهم يتقون بحزم بوجه الاديان التي برزت - عبر التاريخ - الوضع الظالم المهيمن على حياة المجتمعات في القرون الخالية من الناحية الاقتصادية والاخلاقية والفكرية.

العامل الرئيسي في دين الشرك

إن العامل الجذري الذي يبتني عليه دين الشرك هو الافتصاد الذي يقوم على أساس تملك فئة قليلة من الناس وحرمان الأكثرية. وهذا العامل يحتاج إلى الدين لحفظ نفسه وإدامة وجوده وتبرير بقاءه ودعومته. فإن الدين هو العامل الذي يمنع يدور عالية على إخضاع الفرد وإتاعه بالذل والهوان. إن هذا الدين - أي دين الشرك - هو الذي أخذ على عاتقه دائماً مهمة تبرير الوضع الموجود. كيف؟

أولاً: بترويج الاعتقاد بتعدد الآلهة ليصدق الناس بأن تعدد الشعوب والقبائل والطبقات هو أمر مرتبط بالمشيئة الإلهية وعالم الغيب.

ثانياً: ولكي يحافظ دعاة هذا الدين على الامتيازات التي امتازوا بها على الطبقات الأخرى فأنهم كانوا دائماً من دعاة الأنسنة والاحتكار.

الدين الاثنيوني

العوامل الأساسية لدين الشرك - كما بعدد الإلهاديين يحق - هي الجهل والخوف والمالكية والتمييز الطبقي. إن هذه الأمور

التي يذكرها الإلهاديين هي حقائق لا يمكن إنكارها وإن قولهم: «الدين أفيون للشعوب جاء ليخضع الناس للذل والهوان والجهل والتخلف والمصير المجهول» هو قول صحيح لا يمكن إنكاره والتسل منه.

المرجئة في التاريخ

المرجئة في التاريخ يبررون جريمة كل مجرم في المجتمع الاسلامي. انهم ينسأون أولاً: لماذا يضع الله الميزان يوم الحساب؟ ويجيبون على هذا السؤال: بأن الله يضع الميزان للتدقيق في حساب علي ومعاوية.

أي لو كان الله تعالى هو الحاكم والمدقق يوم القيامة، فما شأنك أنت؟ وهل بعينك من سيكون على حق ومن سيكون على باطل؟ إذن عليك أن نمش حياتك كيفما نشاء ولا تشغل بالك بهذه الأمور التي لا نعتبك.

حركة دين الشرك

إن المسار التاريخي الذي ينتجه دين الشرك يتم بأحد التحوين

أدناه:

الأول: الشكل المباشر الذي نلاحظه في تاريخ الأدبان: أي عبادة العزرة، ثم عبادة الملائكة أو الرابة الخاصة ثم عبادة القوة الغيبية الخفية (مانا)^(١) ثم عبادة ارباب النوح ثم الاعتقاد بتمدد الآلهة فالاعتقاد بالأرواح وأخيراً الاعتقاد بالله وعبادته. هذه هي سلسلة دين الشرك في تاريخ الأدبان. وهي في الوقت نفسه تجسد جوهر الاشكال الواضح الذي يرد على هذا الدين.

الثاني: الشكل الخفي الذي انتهجه دين الشرك وهو أخطر وأسوء من الشكل الأول. وهذا الشكل من الدين هو الذي ألحق أفسد الخسائر يكبان الانسانية ووجه الحقيقة على مر التاريخ.

ففي هذا الشكل يختفي الشرك وراء قباب من التوحيد.

عندما يبيت الانبياء الداعون الى التوحيد نرى دين الشرك بنصدي لهم وقب في وجههم وعندما ينتصر الانبياء في هذه المواجهة، تستمر حياة دين الشرك وانتصاره وخلفاءهم بشكل خفي. فالتاريخ يعلم من ياعورا الذي هزم في مواجهة موسى يظهر على شكل العاخمات في دين موسى وعلى شكل القربسبين الذي قتلوا عيسى (ع). فالطبيعة التي جالبت عيسى (ع) ونواطات مع فيصر ملك الروم الوثني للنضاء على دين التوحيد وانباؤه هي نفسها التي كانت تتقف في وجه

(١) المانا، قوة تأثير غيبي في أديبات الديانة المانوية وهي ديانة قريبة من الزردشتية.

موسى (ع). السامري ويلصق ياعورا ظهورا في التاريخ مرة أخرى غير انها ظهورا هذه المرة يزي القساوسة الذين ارتكبوا باسم الدين في القرون الوسطى جرائم بفضت وجه المغول والشر. لقد سجلوا ذلك الجرائم باسم الدين - الدين الذي يثبت على الحب والولاء والوفاء والصبر والعفو والمحبة - وباسم عيسى - مظهر السلام والعفو والشفقة في التاريخ -. هل كان هؤلاء انصاراً لدين عيسى (ع) حقاً؟ هل هؤلاء هم الحواريون؟ أم انهم انصار دين الشرك والقربسبين بعينهم ظهورا هذه المرة يزي القساوسة لكي ينسلخوا إلى دين موسى من الداخل وبعيدوه إلى حظيرة الشرك؟ وقد فعلوا!

اذن فالكلام الذي اطلق في القرن التاسع عشر بأن الدين هو أديون للشعوب وأنه جاء ليروض الناس على الحرمان والشفاء في هذه الدنيا باسم الاعتقاد بما بعد الموت ويقتنعهم بأن كل شيء يحدث هو من عند الله ويمشيتته وأن كل محاولة لتغيير هذا الوضع هي مخالفة لإرادة الرب ومشييته وعصياناً لأمره هو كلام صحيح بحد ذاته. وكذلك قول علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر بأن الدين هو وليد جهل الناس وعدم اطلاعهم على الحقائق والعلوم أو قولهم: «إن الدين هو وليد مخاوف الناس» أو قولهم: «إن الدين وليد التمييز والحرمان في عهد الاقطاع».

ولكن أي دين هذا؟ إنه الدين الذي هبمن دائماً على التاريخ -

سوى حطب زمنية قصيرة لمحت كالبرق ثم انطفأت... إنه دين الشرك مهما كانت أسماؤه، ومسمياته، حتى لو سمي بدين التوحيد أو دين موسى أو دين عيسى أو اصطلاح عليه بخلافة النبي أو خلافة بني العباس أو خلافة أهل البيت أو غير ذلك من الأسماء والمسميات. إنه دين شرك ودعاة هذا الدين مشركون جازوا بلباس الدين وباسم الدين والجهاد والقرآن. ألم يرفع اتباع هذا الدين القرآن على رؤوس الرماح؟ أن الذين رفعوا القرآن على الرماح هم القريبون انفسهم الذي جابهوا بني الاسلام للبقا، على عيادة اللات والعزى. إلا أنهم لم يندروا على حفظ ذلك الوضع فتسللوا بين صفوف المسلمين ليرفعوا القرآن على الرماح ويضربوا علناً تلك الضربة القاضية، تلك الضربة التي ضربوا بها الله والرسول.

لقد حكم دين الشرك باسم الاسلام وباسم خلافة الرسول وآله وباسم القرآن كما حكم في القرون الوسطى باسم عيسى وموسى اللذين اوسبا دعائهم دين التوحيد في التاريخ.

إن الدين التبريري والدين التخديري والدين الرجعي والدين الذي لا يهتم بأمور الناس هو الذي حكم المجتمعات البشرية عبر التاريخ. إذن لا بد أن تصدق الذين قالوا إن الدين هو وليد المخاوف والانقطاع وأنه تخديري ووجعي لأنهم استنبطوا ذلك من التاريخ. غير أنهم لم يعرفوا الدين حق معرفته لأنهم لم يكونوا متخصصين بمعرفة

الدين بل كان حفل تخصصهم التأويخ وكل من يراجع التاريخ يرى هذه الحقيقة متجلية في الأديان جميعاً، سواء تلك التي حكمت باسم دين التوحيد أو تلك التي حكمت بصراحة باسم دين الشرك.

لقد فاوتت جميع الصفات والأسماء المرادفة للفظ الجلالة «الله» في الأديان الإبراهيمية وفي أديان الشرك أيضاً ورأيت أن هذا الدين - أي دين الشرك - هو حقاً وليد خوف الناس وجهلهم. لماذا؟ لأن اتباع هذا الدين (أي أولئك الذين يروجون دين الشرك) يخشون دائماً بقظة الناس ووعيمهم. أنهم يريدون أن تكون العلوم والمعارف مقصورة على الأنبياء الثابتة والدائمة ويكون هذا أيضاً خاصاً بهم ولا يسمحوا بفسادها لغيرهم. وذلك أن دين الشرك سيتلاشى بتطور العلم واتساع رفعة لأنه يقوم على أساس الجهل والامية. فإذا وصى الناس ونشطت روح الانتفاذ قهيم وطالبوا بالعدالة والقسط وانبعثت الأمل في نفوسهم ستزلزل أركان هذا الدين. هذا الدين كان على مز التأويخ محافظاً على الوضع الموجود، وكانت هذه مهمته قبل عهد الانقطاع وبدءه، في شرق العالم وغربه.

إن الصفات والأسماء، الالهية كالهية والهيمنة والجبروت تترجم وتفسر في أديان الشرك دائماً بمعناها الاستبدادي في حين نجد جميع الأسماء والصفات القديمة في الأديان الإبراهيمية حتى تلك التي يرجع تأويخها إلى أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف سنة تتبين من أحد أمرين:

الأول: المثل والجمال وعبادة الجلال والجمال المطلق.

الثاني: الأيوة، السيادة، الكرم، الحكومة والحماية. وعليه، فمن يزعمون بأن الدين الذي حكم العالم عبر التاريخ هو وليد جهل الناس وخوفهم من الكوارث الطبيعية، كلامهم صحيح بعد ذاته.

لقد كانت الأديان الإبراهيمية وليدة رغبة الإنسان وحاجته إلى هدف معين وحكومة خاصة وميله الفطري إلى الخضوع والخشوع أمام الجمال والكمال والجلال المطلق. فقد كانت هذه الأديان تلبي جميع حوائج الإنسان - النفسية والفلسفية والاجتماعية - وقد تصدى أنبياء هذه الأديان - الأديان الإبراهيمية - لجميع القوى الحاكمة سواء المادية منها أو الاجتماعية أو المعنوية وحطّموا جميع الأصنام سواء الأصنام المنطقية - كما يسميها فرانسيس بيكون^(١) - أو الأصنام المسجّنة أو الأصنام الأخرى، الاقتصادية منها أو المادية، وقد تصدى هؤلاء الأنبياء لجميع مظاهر دين الشرك - الدين التيريري - ونهضوا بمسؤولية تغيير الوضع الموجود داعين أتباعهم إلى استبدال هذا الوضع بالمعالة

(١) ولد في ستراند، على مقربة من لندن عام ١٥٦١ وتوفي في لندن عام ١٦٢٦. وضع دائرة معارف واسعة ثبتت على أساس الملاحظة التحريية والمنهج الاستقرائي، ورمّت في التحليل الأخير إلى وضع الطبيعة في خدمة الإنسان. له العديد من المؤلفات منها: «في حكمة الأقدمين»، «مقدمات للتاريخ الطبيعي والتجريبي»، «أفكار: معجم الفلاسفة»، جورج طرابايشي، ص ٢٢٦. (الترجم)

والنقسط. وقد أكد القرآن هذا الأمر مشيراً إلى أنه الهدف الاسمي من بعثة الأنبياء والرسل، فالمقصود من إقرار المعادلة والميزان والنقسط هو تغيير الوضع الموجود لاهداهته. وأريد أن استنتج هنا أن الدين لم يقف بوجه الاتحاد بقدر وفوقه بوجه الدين. بل، كان الدين على مر العصور في صراع دائم مع الدين نفسه، لقد وقف دين التوحيد الذي يركز على وعي الإنسان ويصبرته وعشقه وحاجته الفلسفية الفطرية بوجه دين الشرك المنيين من جهل الناس وخوفهم، ولهذا نرى دين التوحيد ديناً نورياً على مر التاريخ فكلاً نجح دين الشرك التيريري في تحريف الدين الأصلي والتلاعب بفائدته الناس ظهر نبي إبراهيمي جديد ليدعو الناس إلى اتباع الفوائين الإلهية العامة التي نتمسك أراد: الله تعالى. ولذلك نرى أن دين التوحيد يتسم دائماً بترعة التمرد والانكسار والرفض والمواجهة.

الله والناس

في التواءة والانجيل (في بعض الأجزاء التي سلمت من التحريف) وفي القرآن أيضاً، نرى الله تعالى والناس في جبهة واحدة. أي أننا نستطيع استبدال كلمة الله بكلمة الناس أو كلمة الناس بكلمة الله في جميع الآيات القرآنية التي تعالج المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية - لا المسائل الفلسفية والعلمية - مثال ذلك الآية الكريمة:

«أن نفرضوا الله فرضاً حسناً...» فهل يعني هذه الآية أن الله يحتاج إلى من يفرضه فرضاً حسناً وهو الفتي عن العالمين! كلاء بل إن المقصود من الله في هذه الآية هم الناس، وهذا التقارن مشهود في جميع الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تعالج المسائل والانجهايات الاجتماعية والفراد انبأت أن الله تعالى والناس يقفون في صف واحد وجبهة واحدة.

انباع الطاغوت

وفي الجبهة المتعاقبة يقف انباع الطاغوت. من هم انباع الطاغوت؟ انهم أولئك الذين يعبر عنهم القرآن بـ«الملأ» وهم المنفرون الذين يملأون العين ويشغلون المناصب والمواقع المهمة في مجتمعاتهم ولا يلتزمون بمسؤولياتهم وواجباتهم.

الدين الذي حكم التاريخ هو دين الملأ والمنرفين، وكانت حكومة هذا الدين تتراوح بين الحكم المبانر والصريح، والحكم تحت غطاء «دين الله والناس».

أما دين التوحيد فإنه لم يتحقق في أي برهة من التاريخ، وبكفي الشيعة فخراً أنهم رفضوا الحكومات المنسنة باسم الاسلام والتي حكمت في القرون الوسطى اعتقاداً منهم بأن عمل هذه الحكومات هو

نهب أميرالي وأن هذا الحكم هو أقرب إلى حكم كسرى وقبصر منه إلى خلافة رسول الله (ص).

أذن فالدين الابراهيمى هو الدين الذي ظل يواجه دائماً دين الطاغوت والملأ والمنرفين وبدعو الناس إلى النهوض والتمرد على جبهة (الملأ) ويبنرهم بأن الله تعالى معهم وفي صفوفهم.

خطاب هذا الدين موجه للناس وهدفه اقرار العدالة ونشرها.

هذا الدين وليد وعي الناس وحاجتهم الماسة إلى العشق والعبادة والوعي، غير أنه لم يتحقق عنباً في التاريخ، بل ظل على شكل نهضة انتفاذية عارمة تغدو التاريخ ولم تتحقق فيه بشكل كامل قط. وأن الدين الذي هيمن على التاريخ هو دين الشرك -دين الطاغوت والملأ والمنرفين- الدين الأقوي الذي أخذ على عاتقه مسؤولية تسيير الوضع الموجود.

أود أن أقول لأولئك المتكبرين الذين يسألونني دائماً: «أنت بصفتك مفكراً كيف تركز على الدين إلى هذا الحد؟» أنني عندما اتحدث عن الدين فإني لا أتحدث عن الدين الذي كان مهيمناً على المجتمعات في الماضي بل أتحدث عن دين كان هدفه الوقوف بوجه الدين المهيمن على المجتمعات عبر التاريخ. أتحدث عن دين يعث أنبياءه لمقارعة دين الشرك بجميع أشكاله بيد أن هذا الدين لم يتحقق في الماضي بشكل كامل وأن المسؤولية التي تقع على عاتقنا اليوم هي

السعي لتحقيق هذا الدين في المستقبل، وهذه المسؤولية هي مسؤولية الإنسانية جمعاء. فاهتمامنا بالدين ليس رجوعاً إلى الوراء، بل هو مواكبة لحركة التاريخ.



يُست في بداية هذا البحث مفصودي من عنوان هذا المقال «الدين ضد الدين» واستعرضت في حديثي الفكرة التي توصلت إليها أخيراً (رأى لم يكن هذا الاكتشاف اكتشافاً علمياً أو فلسفياً ممتداً بل هو شيء بسيط غير أن الكثير من الأمور البسيطة التي لا تنبه إليها تعود علينا بنتائج سيئة جداً).

ذكرت في حديثي أن الدين لم يصارع الكفر والاتحاد - بالمعنى الذي يتبادر في ذهننا - وذلك أنه لم يكن في الماضي أي مجتمع الحادي أو طبقة الحادية غير دينية، والتاريخ يشهد لنا بأن الناس على مر العصور كانوا متدينين دائماً في مسارهم الاجتماعي التاريخي. وقلت أيضاً أن المجتمعات البشرية بكل أصنافها يدرن استئنا، كانت مجتمعات متدينة في جميع مراحل التاريخ، أي أن الدين كان الأساس الفكري والثقافي لكل المجتمعات في طول التاريخ، بحيث لو اردنا اعداد تحقيق عن التاريخ الحضاري والثقافي لمجتمع ما نجد أن تحفيثاً قد نبذل بشكل عفوي إلى تحفيث عن الحضارة الدينية أو

الثقافة الدينية لذلك المجتمع.

فهل يمكن التحدث عن الحضارة الهندية بدران التطرق إلى الدين الودائي والبوذي والاذعان بأن هذا الادهان هي المحور الرئيسي والجوهر الأساس في هذه الحضارة المعطاءة؟ وهل يمكن التحدث عن الحضارة الصينية بدران التطرق إلى لانتسه ركنفشيوس واعتبارهما المحور والجوهر لهذه الحضارة العربية؟

أذن نحن نعلم أن البشر كانوا متدينين على مر التاريخ (١) وأن البشر لم يكونوا معتقدين بالدين فحسب، بل كانت حياتهم تركز على قاعدة دينية، ولم يكن الدين مهتماً في مضامير الشفقة والاخلاق والمعنوية والفلسفة فحسب بل كانت الهبة المادية والاقتصادية وحتى الطابع المعماري في المدن القديمة دينياً أيضاً.

وقلت أيضاً: أن العمران في أغلب المدن القديمة هو عمران رمزي فائنا نجد أبنية المدينة تحيط بمعبدها، كون المعبد رمزاً لفسلك المدينة. فكما نرى اليوم برج ابفل رمزاً لمدينة باريس، كانت المعابد رمزاً للمدن في الماضي فقد كان معبد «دلفي» مثلاً رمزاً لمدينة اثينا في الحضارة اليونانية.

ولما أن تساءل: ما هو الفكر والواقع الاجتماعي الذي رصف

(١) التاريخ بمعنى قصة حياة الانسان الاجتماعية لا بالمعنى المصطلح.

يروجه انبيأؤنا المؤسسون لهذه النهضة التاريخية الممتدة من آدم (ع) الى خاتم الانبياء (ص)؟ ومن هم الذين وقفوا في وجه هؤلاء الانبياء وهذه الاديان الابراهيمية الحقّة؟

نعلم ان «الكفر» هو جواب جاهل لهذه الأسئلة، لكن الكفر لا يعني عدم التدنّين بدين خاص. بماذا أخرى ان الانبياء لم يأتوا لدعوا الناس الى أصل التدنّين والشعور الديني ولم يأتوا لتبليغ المبادىء في المجتمعات البشرية لأن العبادة والشعور الديني والاعتقاد بالغيب والايمان بالله او الالهة كان سائداً في جميع الأوساط والمجتمعات التاريخية. وإذا لاحظنا بعض «الزنادقة» أو «الدهريين» يقفون بوجه الانبياء - وفلما نجد ذلك لأن هؤلاء وقفوا في المآلب بوجه الفلاسفة وزعماء الدين - فأننا نراهم يستنفون مبدأ دينياً بشكل آخر أو باعتبار آخر أي أنهم كانوا يؤمنون بالقوى الغيبية وبما واء الطبيعة. ثم ان الدهرية والزندقة هي ظاهرة متأخرة جداً من حيث الزمن أي انها تنمّلن بمراحل التطور الفكري والفلسفي والعقلي في تاريخ البشر، وان الذين كانوا يشككون في الدين والمعتقد الدينية هم من التوادير، ولم تدخل الزندقة في مجرى التاريخ ولم تصنع كياناً يخص بها في أي من حقب التاريخ.

ان تاويخ البشر هو عبارة عن تاويخ المجتمعات الانسانية في جميع المراحل الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والنساقية

والعضارية التي كانت دينة دائماً. وان انبياءنا بدأوا هذه النهضة الدينية على ضوء حاجة مجتمعاتهم ومفوضى ظروفها الخاصة. وان الذي وقف دائماً في وجه هؤلاء الانبياء وسعى دائماً الى تحريف مباديهم هو «الكفر» لا الزندقة والالحاد.

صفوة القول ان الدين - بالمعنى الذي نفهمه نحن - كان في صراع دائم مع الدين وان وسالة الانبياء ومحوو دعواهم يشتمل في الصراع مع الكفر، لا الصراع مع الزندقة والالحاد. إذا الزندقة لم تكن سائدة في تلك المجتمعات. وهنا لا بد لي ان اشير الى ان هذا الاستنتاج هو استنتاج فرآني لحسن الحظ:

دين الكفر ودين الاسلام

يا أمر الله تعالى النبي (ص) ان يقول للكافرين الذين ناهضوا الاسلام بمعناه الأعمّ وحاربوا ابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام): ﴿قل يا ايها الكافرون لا اعيد ما تعبدون﴾ لاحظوا التكرار والدقة في هذه السورة كل ما اريد أن أقوله، موجود فيها: ﴿لا اعيد ما تعبدون﴾، اذن الخطاب موجه للكافرين لا الزنادقة. المسألة ليست مسألة صراع بين العبودية والزندقة وإنما الصراع بين العبودية والعبودية وان الذين ناهضوا نبي الاسلام لم يكونوا من الزنادقة (الذين لا يؤمنون بوجود إله)

بل كان عدد آلهتهم أكثر بكثير من آله الإسلام الواحد. «ولا أنتم عابدون ما أعبد» وهذه الآية لا تختلف في المعنى عن الآية السابقة إلا أن القرآن يكرر هذا المعنى لأنه يريد ترسيخ هذا المبدأ في أدمغتنا وعقولنا. «ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد» إنه يعيد ويكرر المفهوم نفسه. وفي آخر السورة يعلن النص التالي شعاراً لهذه النهضة: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ». ومعنى هذا أن الصراع على طول التاريخ هو صراع بين الدين والدين وليس بين الدين والزندقة.

هيمنة دين الكفر على الفناويخ

ذكرنا في القسم الأول من حديثنا أن دين التوحيد ودين الكفر كانا في صراع دائم في الفناويخ ونسأل الآن: «من كان المتصر في هذا النزاع؟» في الحقيقة أن النصر كان حليفاً لدين الكفر دائماً. وبكفي لاثبات ذلك نظرة عابرة إلى تاريخ المجتمع البشري.

أن أنبياءنا - الأنبياء الذين نعتقد بحقائقهم - لم يستطيعوا أن يطبقوا دينهم بشكل كامل ومننود في أي مجتمع وفي أي برهة من التاريخ.

لقد كان هؤلاء الأنبياء يظهرون على شكل نهضة ونورة ونسرد على الدين الحاكم، إلا أن جبر التاريخ - الذي كان في أيدي الكافرين -

ودينهم - الذي كان يبرر الوضع الموجود - كانا بفرضان استمرار حكومة الكفر وبقاءها، وبما أن السلطة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية - كانت بأيديهم دائماً لذا لم يستطع دين الحق أن يتجسد بشكل واقعي في أي مجتمع منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا.

ما هو هذا الدين ومن هم هؤلاء؟ من أجل أن نضع اسماً لهذا الدين ولكي يكون كلامنا أكثر بساطة وشفافية يمكننا أن نقبض من النصوص الدينية أسماء وصفات عديدة. إلا أن هذه الأسماء قد تكون أكثر مناسبة من غيرها:

هو «دين الناس» من زاوية المخاطب وهو «دين الله» من حيث محور الدعوة وروحها وجهتها. الدين الذي وقف دائماً بوجه الدين الموجود وحمل راية الصراع في كل زمان ومكان هو الدين الذي كان محور خطابه «الناس» وكانت دعوته دعوة إلى «الله». أن هذا الدين - إذن - هو دين «الله والناس».

العال مال الناس

لو راجعنا القرآن لرأينا في أول نظرة أن القرآن ببندى بكلمة «الله» ويختتم بكلمة الناس. ونرى أيضاً أن مخاطبي هذا الكتاب هم الناس دائماً.

إن دين «الله والناس» - أي الدين التوحيدى - يفصل وجود الله وذاته عما سواه وهما الإنسان والطبيعة - خلافاً لما تراه نظرية وحدت الوجود الهندسية - ولكن «الله» و «الناس» في هذا الدين يفتقون في صف واحد وجبهة واحدة من حيث المكانة والجبهة الاجتماعية. بحيث أننا نستطيع استبدال كلمة «الله» بكلمة «الناس» وبالعكس في جميع الآيات التي تتعلق بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية والمسائل المتعلقة بالحياة. مثلاً: «مال الله» فكلمة الله في هذه العبارة تختلف عن معناها الوثني القائل بحاجة الله إلى التملك والثروة والذي يفرض على الناس أن يدفعوا مبلغاً من أموالهم - نذراً أو هدية - إلى المعبد أو صاحبه!

إن معنى هذه العبارة هو أن «المال للناس»، وهذا التفسير ليس تفسيراً خاصاً بي فأكون قد فسرته برأبي متأثراً بالعوامل الفكرية السائدة في عالم اليوم، بل هو ذات التفسير الذي أفهم به أبو ذر معاوية بقوله: «لأنك تريد أن تأكل مال الناس يدعى أن المال مال الله وأنت خليفة الله في أرضه ونحن لك أن نأكله أو نهبه لمن شئت». يريد أبو ذر أن يقول لمعاوية أن مال الله هو مال الناس وليس مال الملائكة.

إن «مالكية الله» تعني «مالكية الناس» لأن الله والناس في صف واحد: «الناس عيال الله» ومن المسلم أن يكون المعيل والعيال في صف واحد.

عيال الله

ويقف «مقابل عيال الله الملائكة والمترفون وأولئك الذين نسلطوا على رقاب الناس وسيطروا على ثرواتهم وسلبوا منهم حق تفرير مصيرهم الاجتماعي والاقتصادي. وقد كان هؤلاء الملائكة والمترفون أصحاب دين ولم يكونوا ماديين ووجوديين أو زنادقة، كانوا يعبدون الله (أو الآلهة).

دعم التمييز الطبقي والعرقى

ذكرت في القسم الأول أن الشراك لا يحمل معنى فلسفياً فحسب بل إنه يعني «تبرير الوضع الموجود». فما هو الوضع الموجود في التاريخ؟ إنه الشراك الاجتماعي.

والآن ما هو الشراك الاجتماعي؟ إنه يعني وجود أصنام متعددة بعدد الطبقات والقبائل والأعراف والقبائل في المجتمع. فقد كان لكل شعب وعرق وقبيلة صنم أو إله خاص، وكانت عبادة هذه الأصنام تعني الاعتقاد بأصالة هذه الشعوب والطبقات والقبائل المتنوعة وضمأن حقوقها وتمييزاتها الخاصة. بينما يصرح دين التوحيد أنه لا إله إلا الله ولا خالق ولا معبود سواه، وإن الرب والخالق هما مفهوم واحد.

الرب والخالق

نعتقد الأديان جميعاً بأن الله هو خالق الكون. غير أننا نجد الاصنام تتعدد عندما نتطرق إلى مفهوم الربوبية. فجبايرة التاريخ كفرعون ونمرود لم يدعوا الخلق وإنما كانوا يدعون أنهم آرباب للناس، فالرب هو الصاحب والمالك ولا يبني الخالق.

كان فرعون يقول: «أنا ربكم الأعلى» أي أنا صاحبكم ومالككم ولم يقل أنا خالفكم وبارئكم.

لقد كانت أديان الشرك جميعاً حتى الأديان اليونانية تعتقد بالله في مسألة الخلق إلا أننا نجد آلهة متعددة أخرى تظهر فيما بعد تحت عنوان «آرباب الناس». لماذا؟ لتجقيق مختلف أنواع وأشكال الهيمنة وزرع بذور الاختلاف والفرقة بين أفراد البشر أو بين فئات المجتمع الواحد بقية تصنيف المجتمع إلى طبقات عديدة وفئات متضاربة بين حاكم ومحكوم ومنظم ومحرور.

المدينة المنورة رمز المجتمع المثالي

ذكرت في القسم الأول من هذا البحث أن «دين الله والناس» كان على مر التاريخ على شكل نهضة كفاح ونضال ضد الواقع المهيمن ولم

يكن على شكل دين يبني المجتمع على أساس مبادئه. فأننا لا نجد في التاريخ البشري مجتمعاً قد بني على أساس هذا الدين سوى مجتمع المدينة المنورة في حياة رسول الله (ص) ولم يكن هذا المجتمع حقيقة تاريخية في مرحلة معينة بل كان على شكل رمز مثالي - كما ذكرت آنفاً -.

إن عمر هذا المجتمع لا يتجاوز المنس سنوات مقابل خمسين ألف سنة من التاريخ، فقد حكم دين الشرك في المدينة على مر التاريخ تارة باسم دين التوحيد وأخرى باسم دين الشرك ولكن الفرصة لم تسمع لدين «الله والناس» إلا في هذا، السنوات العشرين نظاماً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وينظم العلاقات الفردية والاجتماعية والفنية والطبقية والعرقية وكذلك العلاقات بين الاقلية والاعلية على أساس دين «الله والناس».

لقد استطاع هذا الدين أن يبني هيكلة هذا النظام غير أنه لم يتمكن من تطبيقه بشكل كامل، لأن الإنسان لا يستطيع أن يطبق نظاماً يبتني على أساس رسالة تتلعب على التاريخ في عشر سنوات فقط. وقد لمسنا ذلك تاريخياً، فإن سكان المدينة لم يقدروا على تغيير تربيتهم الفطرية والاجتماعية التي نبتت على أساس الجاهلية في مدة عشر سنوات ولم يستطيعوا المحافظة على ذلك النظام العظيم. ورأينا أيضاً عدو هذا النظام وهو يسيطر على كل شيء مرة أخرى

بعد مرور عشرين سنة فقط .

اذن نستنتج هنا ان النظر الى التاريخ بهذا الشكل وان اعمان النظر فيه بهذه الطريقة سينتهي بنا الى المدول عن كثير من التصورات التي رسمت في اذهانتنا عن التاريخ والدين والزندقة وعن المفكرين والالهاديين والمتدينين في الماضي والحاضر، وهكذا بالنسبة للعلاقة بين العلم والحضارة والعلاقة بين الماديين والدينيين.

وعليها ان نظري الحق لمفكري القرنين السابع عشر والثامن عشر وكذلك القرن التاسع عشر حيث قالوا: «ان الدين كان أفيوناً للشعوب على مر التاريخ» لأن هؤلاء، وضعوا الدين الذي كان مهيمناً على التاريخ وعليها ان تؤيد مزاعم من قالوا: «ان الدين هو عامل لتبرير السلطة الاقتصادية والاجتماعية التي تتمتع بها الاقلية ضد الاغلبية في التاريخ» انهم على حق لأن الدين كان يبرز الوضع الموجود في عهد الانقطاع، ونرى هذه الحالة في كل المجتمعات وفي كل المراحل التاريخية التي نجد فيها شكلاً من اشكال الحكومة والاقتصاد، فلقد كانت مهمة الدين تبرير الوضع الموجود عبر استغلال العقائد الدينية الراسخة في فطر: الناس.

وما أكثر النماذج التي تؤيد هذا الكلام، فما عليكم إلا ان تختاروا حفة من التاريخ لتلاحظوا الطريقة التي كان ينتهجها الدين في تلك الحفة التاريخية. ولندرس هذه الحالة في ايران مثلاً:

الدين في ايران

حكم الدين على المجتمع الابراتي في العهد الساساني بشكل مباشر، فقد كان الملوك والامراء، في هذا العهد يخضعون بشكل كامل لعلماء الدين والمعابد وكان النظام الطبقي سائداً في هذا المجتمع على النحو الذي لا يستطيع فيه أي شخص من الطبقة السفلى الارتفاع، الى طبقة أعلى بأي حيلة أو معجزة.

الطبقة الأولى والطبقة الثانية

تقع العائلة المالكة والتبلا، في الطبقة الأولى في العهد الساساني والى جانبهم رجال الدين - موبدان - في الطبقة الثانية، وكانت السلطة في هذا العهد تتراوح بين هاتين الطبقتين فتارةً تسيطر الأولى على الثانية وأخرى بالمعكس.

يبد أنهم كانوا جميعاً من الملأ والمرفين الذين لا هم لهم سوى استثمار الناس واستغلالهم فلا فرق بين هاتين الطبقتين سوى ان الأولى - العائلة المالكة والاشراف تستثمر الناس بالقوة، والنسابة - رجال الدين - تنهب ثروات الناس بالتبرير الديني، ولذا ترى ثروات الناس دائماً في أيدي هاتين الطبقتين ونرى القسم الأكبر منها أحياناً في يد رجال الدين كما يقول آلير ماله: «كان سهم رجال الدين المسمومين ثمانية عشر سهماً من اصل عشرين سهماً».

الطبقة الثالثة

تتضمن هذه الطبقة على الصانع وأصحاب الحرف والعسكر والمزارعين وهي طبقة محرومة من كل مغفرة وليس لها أي حق اجتماعي لأنها تنتمي إلى عرق نجس! - كما هو متعارف في الهند -.

يقول الفردوسي^(١) عن «رستم فرخزاد»^(٢) قوله: لو أني الإسلام لأسأوى بين السيد والعبد ولخلط الأعراق ولضج فضيلة الحسب والنسب لأن الحسب والنسب لا يمكن أن يكونا ملاكاً للفضيلة في الإسلام ويحق للعبد والسيد على حد سواء أن يتصدى لمسؤولية القيادة والحكم في المجتمع الإسلامي.

إن هذه الألفاظ التي أراد الفردوسي أن يعبر بها الإسلام نعمة من أكبر المفاهيم وأبهى الشعارات المرفوعة في عالمنا اليوم.

كان الدين يبرر وجود التمييز الطبقي قبي العهد الساساني ، وذلك أن الجبابرة لم يكونوا قادرين على ذلك لأنهم لا يجيدون الفلسفة والتبرير ولا يملكون شيئاً عن ما وراء الطبيعة ويلجأون إلى القوة فقط .

إن ابن الاسكافي في العهد الساساني يحرم من الدراسة . لماذا؟

(١) شاعر إيراني كبير عاش في القرن الرابع الهجري وكتب ملحمة «الشاهنامه» .
(٢) قائد القوات الأيرانية في معركة القادسية .

لأنه لو أكمل دراسته سينتمي إلى طبقة الكتاب وهي طبقة أخرى أسمى من طبقة الوضيعة. إذن يجب أن يبقى ابن الحذاء هذا حذاءً أو وابتأزه واحفاده إلى أبد الدهر حتى لو كان من الثوايح. إن عليه حينئذ أن يستخدم نبوغه في صناعة الأحذية فقط .

رجال الدين المجوس ونبرير التمييز الطبقي

دأب رجال الدين المجوس على تبرير التمييز الطبقي والفوارق الطيفية في العهد الساساني. كان هنالك ثلاثة أنواع من النار المقدسة وتعد كل واحدة من هذه التيران الثلاثة مظهراً من مظاهر (آهورا مزدا)^(١).

١ - نار «كشنسب» في آذربايجان .

٢ - نار «برزين مهر» بالقرب من مدينة سيزوار .

٣ - نار «استخر»^(٢) في فارس (بالقرب من مدينة شيراز) .

هذه التيران الثلاثة من مظاهر آهورا مزدا إلا أن آهورا مزدا نفسه

(١) مركبة من (آهورا) خالق الروح والحياة و (مزدا) : صفة آهورا . كما أن (مزدا) مركبة من (مه) وتعني عظيم و (زدا) وتعني العالم المطلق . وهو إله الخير عند المجوس .

(٢) اسم حصن في فارس . وسُمي بذلك لأن فيه مسجداً عظيماً .

بنتج النظام الطبقي أيضاً. فالتار الموجودة في آذربايجان هي للمملوك والاسرة المالكة. والتار الموجودة في فارس خاصة برجال الدين. والتار الموجودة في القلعة الفرية من سبزوهر - برزجن مسهر - هي للمزارعين والفلّاحين وأصحاب الحرف.

إن أهووا مزدا لا يحمل وجهاً واحداً وناراً واحدة حتى في دين المجوس الذي تتحد فيه آلهة الجمال والخير وبعيد الناس الهأ واحداً (أهووا مزدا) وبصاوكون عدواً واحداً (أهرمين) فالتار المقدسة تبرز وجود الاختلاف بين هذه الطبقات الثلاثة وتوحي بعدم إمكانية اندماج هذه الطبقات لأنها متباينة وليست متشابهة وهذا الاختلاف والتباين من وجهة نظرهم هو انعكاس لإرادة أهووا مزدا لأنه هو الذي شاء أن يكون ذلك مثلما شاء أن تكون النار مقدسة.

وهكذا نرى أهووا مزدا بنيت هذا التالوث الطبقي في المجتمع لكي يوحى للفلاح أن إلهه الخاص وناره المقدسة هي الموجودة في مدينة سبزوهر وليست في فارس أو آذربايجان وأن التيار الأخرى لا تنفعه ولا تضره.. بل لا نفعه ولا نفعه أصلاً.

وفي الهند أيضاً عندما يريد بوذا التحدث عن الإله أو الآلهة أو عندما يريد الأفصاح عن شعور عظيم أو الكشف عن فكرة سامية، يقول: هذه طريقة آرية أو هذه فكرة آرية ويقصد بذلك أنها تختص بالعنصر الآري أي العنصر النجيب الأصل وأنها لا تشملن بالطبقات

النجسة الأخرى التي حكم عليها بالنجاسة لأنها لا تنتمي لهذا العنصر. لقد كانت الانظمة الطبقية والعنصرية والعرقية تتسولي على كل شيء حتى على مقدسات الانسان وأفكاره الدينية وكان الدين يسير دائماً هذه الصوارى الطبقية مستغلاً بذلك نخلف الناس الفكرى والفلسفى.

وعندما نلاحظ نصريحات بعض الفلاسفة كأوسطو وأفلاطون بأن العبد يولد عبداً وإن السيد يولد سيداً وأن الأمر الشريف تمتع بحرف شريف وأنها محصورة مثلاً في مدينة (أثينا) في عشرين اسرة فقط (لا أكثر ولا أقل) فأتينا نرى ذلك يحصل في زمن كان الناس يعيشون فيه تحت هيمنة الدين.

لقد كان دين «العلماء» ينتج الأفيون للمجتمع لينأجيه لمواعظ من هذا القبيل: «أنتم لستم مسؤولين لأن كل ما يحصل هو حاصل بإرادة الله ومشيئته»... «لا نشكوا من الحرمان ولا تتألموا فأنكم متجزون في مكان آخر»... «اصبروا على كل شيء لكن بضائع الله لكم الأجر». هكذا كانوا يخمدون احتجاج الفرد ويجمدون حركته الإبداعية.

كان الجبابرة يستخدمون العنف في مواجهة الناس واخماد نواتهم. لكن الدين كان يتهج طريقة أخرى في وأد النهضة وود الانتفاذ واخماد نائرة الغضب والاحتجاج وهي تبرز الموقف بطريقة كهذه: «إن كل ما حصل قد حصل بمشيئة الله. فأبى احتجاج واعتراض

سبكون بمنزلة الاحتجاج على الله ومشيئته».

وعلى الضفة الأخرى يفد دين الحق في مقابل هذا الدين التخييري التبريري الماكر الذي سلب من الناس شعورهم بالمسؤولية ويزر النسيير الطيني والعرفي في المجتمعات عبر التاريخ.

أنبياء دين التوحيد

دين التوحيد هو دين الانبياء الرعاة الانبياء العقلاء الانبياء الذين عجن الحرمان والجوع في طبيعتهم ، اولئك الذين وصفهم نبينا (ص) بأنهم كانوا جميعاً من الرعاة وقد وقف دين هؤلاء الانبياء دائماً بوجه دين الطبقة الحاكمة دين القساوسة والرهبان والسحرة.

إن دين عبادة الطاغوت الذي كان ينمى بكل شيء طوال التاريخ كان بدوره آله في يد الطبقة الحاكمة لاستثمار الطيفات السحيفة وقمعها واغنائها ، ولقد ظهر هذا الدين بتشكيله الجاني والخفي في كل حقبة من حقب التاريخ..

دين الشرك الجلي والخبثي

الشكل الأول هو الشكل البدائي والواضح والصريح الذي يسمى

«دين الشرك الجلي» والذي لا يزال موجوداً بين بعض القبائل في افريقيا. ويعتقد اتباع هذا الدين بتعدد الآلهة ويدسون بعض الحيوانات أو الأوتان أو الملائم والرموز الخاصة.

إن محاربة هذا الدين «دين الشرك» عندما يكون جلياً وعارياً ومكتشفاً بعداً أمراً سهلاً لكن محاربته ستزداد صعوبة عندما يخفي وراء ستار من «دين التوحيد» ويكون آله في يد الملائم والمترفين. وذلك هو الشكل الآخر من دين الشرك الذي يظهر فيه دين الطاغوت باسم دين التوحيد لينفي على دين «التوحيد» ويظهر اتباع الطاغوت باسم عباد الله ليبسطوا سلطانهم على قادة نهضة التوحيد والمجاهدين في سبيله. طالما كثرت هذا السؤال على طليعتي في دوس «تاريخ الاسلام» في كل عام وأقوله لهم مسبقاً لأنني أعلم وبعلم الجميع ايضاً أنه لو اجيب على هذا السؤال جواباً صحيحاً فإن الكثير من المشاكل سوف نحل..

حتى المشاكل الاجتماعية.. والسؤال يقول ان شخصين احدهما رسول الله (ص) والآخر الامام علي (ع) أرادا ان يشيرا الدين في مجتمع واحد فلماذا خرج رسول الله (ص) منتصراً ولم يخرج الامام علي (ع) منتصراً من هذه المهمة؟ كلاهما كانا من عرب القرن السابع الميلادي والدين الذي كانا يدعوان اليه هو دين واحد والقرآن قرآن واحد والمعبود معبود واحد واللغة لغة واحدة والزمن واحد والمجتمع واحد... لكننا نرى النبي (ص) ينتصر في هذه المهمة والامام علي (ع)

يخفق فيها. لماذا؟

البعض يجيب على هذا السؤال بإجابات مروعة فيقول مثلاً: حصل ذلك لأن علياً (ع) لم يكن مساوياً ولم يساوم الباطل ولم يقبل بالظلم والجور بل كان حازماً في رأيه وعمله. أنها اجابة مجترية قيل بقصد هؤلاء - والعياذ بالله - أن رسول الله (ص) لم يكن يتصف بهذه الصفات؟

صحيح ان كل هذه العوامل - عدم مساومة علي وعدم قبوله للظلم والجور... - كانت مؤثرة في (إخفاؤه) إلا أن هنالك عاملاً آخر يجب ان نعتبر عليه وهو العامل الاساسي الذي سبب هذا (الاخفاء).

بعبارة أخرى علينا ان نبحث عن عامل لم يكن موجوداً في زمن الرسول (ص) وكان موجوداً في زمن الامام علي (ع). واضح ان هذا العامل هو «دين الطاغوت» الدين العرفي والقبلي والطبيعي، دين عبادة الاوثان. دين الشرك الذي كان آله في يد «الملأ والمنترقين» الذين كانوا يستلثون في قبيلة قريش آنذاك.

لقد كان هذا الدين - دين الشرك - سافراً وواضحاً صريحاً في زمن الرسول (ص). فقد كان أبر سفيان وأبر جهل وأبو لهب يقولون بصراحة: يجب ان نحافظ على الاصنام وعلى الكعبة لكي نبقي تجارة فريش فائمة لأن تجارتنا وعظمتنا ومقامنا وثروتنا وعلوتنا على قبائل العرب منوط بالاصنام والكعبة ولا يمكننا ان نقبل بشيء آخر بل يجب

علينا أن ندافع عن الاصنام والكعبة وسنن الاولين . كانوا يقولون هذه الكلمات بصراحة ولذلك كان الصراع معهم أمراً سهلاً وكان الانتصار عليهم ممكناً وهذا العامل هو السبب في انتصار رسول الله (ص).

أما علي (ع) فانه لم ينهر سبفه علي فريش المشركه التي تدافع عن الاصنام بل شهره بوجهه قريش المسلمة التي تدافع عن الكعبة... فريش لم ترفع المعوقات السبع في وجه القرآن بل رفعت القرآن على الرماح. لاحظوا ماذا سيصنع دين الشرك؟ انه يجاهد ويفتح البلدان ويبنى مساجد عظيمة ليقم فيها الجماعة ويقرأ القرآن ويجعل جميع العلماء والقضاة تابعين ومدافعين عن شعائر هذا الدين ويستخذ دين النبي (ص) شعاراً له الا انه في حقيقة الأمر ويساطن يعمارس التشرك بعينه.

ان معارضة هذا الشكل من دين الشرك الذي يستر لباس التقوى والنوحيد أصعب بكثير من معارضة الشكل الآخر ولئن يستطيع احد - حتى علي - الانتصار عليه.

في تاريخ المجنمات والاصلاحات الاجتماعية نرى قادة وقفوا بوجه الدوا الاجتماعي الذي بسط سلطانه على بلادهم بشكل سافر فهزموا وطردوه من تلك البلاد بسهولة رغم قوة العدو وعظمنته وجبروته لكننا نرى في الوقت ذاته هؤلاء الابطال - الابطال الذين هزموا أعظم الجيوش في العالم - نراهم يخفون في مواجهة الاعداء في

الداخل أولئك الذين تسلطوا على رقاب الناس وكانوا السبب في محنتهم وشقتهم.

يقول رادها كريستيان: «إذا ارتدى الزور والمكر لباس التنفوس، ستقع أكبر فاجعة في التاريخ».

اذن عندما اتحدث عن الشرك فاني لا اتحدث عن الدين الذي كان سائداً في الماضي والذي يتجلى في عبادة بعض الحيوانات او الانشجار او الاصنام بل ان المقصود من دين الشرك في كلامي هو: الثمور الذبني لدى الناس والذي كان لعبة في يد الملاك والمترفين الذين حكموا المجتمعات عبر التاريخ الطويل.

ونستنتج ان المفكرين في القرن السابع عشر والثامن عشر والمصر الحاضر الذين قالوا ان الدين كان عاملاً رئيسياً في شتات الناس وشقتهم وتقيت القيد والذلّة والضمف والهوان كانوا محققين في الإدلاء بهذا الرأي لأنهم كانوا يرون الدين عائقاً عن التطور والرقي والحرية والمساواة بين البشر.

وفد اثبتت التطورات المذهلة التي حققتها البشر بعد افشاء الدين عن ميدان الحياة صحة هذه الآراء والتصورات بشكل علمي.

غير ان هؤلاء المفكرين الأحرار الذين سمو الى نخليص الناس وتحريرهم من هذه العرافات والسوم المخدرة أخطأوا في نفيهم واننا نحن المعتدبين من نكب اليوم الخطأ نفسه.

خطأ المفكرين

الخطأ الذي ارتكبه المفكرون يكمن في أنهم كانوا ينسبون إلى الذين كل شيء يرونه في التاريخ كالمعابد والجهاد والحروب المقدسة والحروب الصليبية والجهاد الاسلامي و... واننا - نحن المعتدبين - كنا وما زلنا نعانى من نفس الخطأ.

ذكرت آنفاً ان الاسلام رأياً نورياً في هذا المجال وأنه لا يقبل اثباتاً من هذه الآراء بل يعتقد ان دين الحق سيتحقق في نهاية المطاف وان الأديان التي حكمت عبر التاريخ في شرق العالم وغربه كانت جميعاً من أديان الشرك حتى لو كانت تحكم باسم دين التوحيد، وان الأتباء إنما يمتنوا لمحاربة هذه الأديان وان دينهم الحق ينفع الإنسان المفكر الحر شعوراً بالمسؤولية هو استمرار للمسؤولية التي كان ينسب بها الأتباء انفسهم. يقول النبي (ص): «علماء امني أفضل من أتباء بني اسرائيل» ويضد بذلك ان المسؤولية التي كانت تقع على عاتق الأتباء ستقع على عاتق العلماء (أي المفكرين) بعد نبوءة خاتم الرسل (ص).

رسالة العلماء والمفكرين

ما هو الشيء الذي يجب على العلماء ان يستمرؤوا عليه؟ أنه محاربة الدين من اجل احياء الدين ونشيطته. ان رسالة العلماء

والمفكرين هي احياء الدين - الدين الذي لم ينحرف في التاريخ - اذن يجب ان ينضج الناس ويكون لهم وجدان ديني يفظ واع ويفهموا معنى التوحيد ويدركوا مدى تناقض «دين التوحيد» و«دين عباد» الطاغوت» كي يقدروا على تمييز دين الشرك المتشبع بوشاح الترحيد ويرفعوا نقاب الرياء - بكل اشكاله وفي كل ارجاء المعمورة لكي يصلوا الى دين ليس وليداً للجهل وليس وليداً للخوف، كما يقول الماديون ويصدقون القول؟

لقد شجب القرآن مراراً موقف اناس بنعروضهم الى عاصفة في البحر قبيكون وينوشلون الى الله خشية تحطم سفينتهم الا انهم ينسون كل ذلك بعد الوصول الى البر ويعد ان يفتدوهم الله مما كانوا فيه. ان هذا الدين هو دين ناجم عن الخوف وهو الدين نفسه الذي يتهمة الماديون في القرن التاسع عشر بأنه وليد الخوف.

لقد نهى القرآن قبل هؤلاء الماديين على اتباع هذا الدين وعلى عبادة الجبناء والعبيد والتجار وعلى كل عبادة تنبت لركان هذا الدين الذي هو وليد النظام الطيفي... من هم الذي اسسوا نظام هذا الدين والى اي طيفه ينتمون؟ الدين اسسوا نظام هذا الدين هم اولئك الذين كانوا يقولون للناس: ان كنتم نمانون الجوع وتفتقدون لفحة العيش فاصبروا حتى يجزيكم الله من موائد الجنة! هذا هو الدين الطيفي الذي ينتشر كالوباء في جسد ادب ان الحق - حتى في دين نبينا (ص) - هذا هو

الدين الذي يستببه علي (ع) بدين العبد والتجار ويستبي العباد في الدين الآخر الذي ينف بازاله هذا الدين بأنها «عبادة الاحرار» وهي العباد التي تنبثق عن الحرية والحاجة السامية والعشق والتضحية الانسانية المقدسة والعدل والمساواة والتوسط وتفي جميع الرذائل والارجاس.

ان الدين الذي يبرر الفقر ويحرص على يافته كان يبرر العبودية ايضاً وكان يخدر الناس ويخدعهم لصالح الملاء والمرفق. الدين القاتل (ان الله لا يهتكم بكلفة طائفة وسغب مظلوم) يجعل من الشعور الديني مادة تخدر نزل الناس عن المجتمع وتزهدهم في الامور المادية لصالح اولئك الملاء الذين يستأثرون بها دون غيرهم. ان الدين الذي انكر دائماً مسؤولية الناس وحفهم في تقرير مصيرهم وبرز الوضع الظالم غير التاريخ مستغلاً بذلك معنوية الناس وشعورهم الديني القوي. هو الذي كان يوحى للناس بان الجوع والحرمان والعرض هو علامة على رضا الله ودليل على وجود الاهلية اللازمة للتكامل والكمال وهو الذي يفتح لكل شخص حساباً خاصاً بالنسبة للاعتقاد بما وراء الطبيعة لبيد كل الجمع الى افراد والحضور الى انزواء. وهو الذي يسلب من الناس حق الحياة والتمتع والتملك والتحكم ويقوم بكل هذا من اجل الطبيعة الحاكمة مستخدماً بذلك الوعد والوعيد والتهديد.

ان القرآن لم يخاطب عدواً بنده مخاطبته لانها هذا الدين.

فعمداً يتطرق القرآن إلى بلعم بن باعوراء وهو منال لاوثك الذين حوِّفوا الشعوب الديني والايماق القطري لصالح القنفة الحاكمة نراء بخرج عن سياقه ويقول: «فمثلته كمثل الكلب»، ما معنى هذه الحدة في الكلام؟ انها تعني ان هؤلاء هم الذين تبتوا وجود الملاء والمنرفين وأبقوا على الظلم والاستعمار والتمييز وأنهم هم السبب في عفر نمار جهود الانبياء وهذه العبارات انما تدل على شدة الاستياء من ممارسات وأعمال دين الشرك الملعنة.

أريد أن أستنتج هنا وأقول (وان كان هذا القول يفضل عليكم لكثي سوف أشرح أبعاده بتفصيل في فرصة أخرى ان أصبح لي ذلك لأتني اعتقد ان هذا الكلام سيغير نظرتنا وحكمنا على الدين والتاريخ).

أريد أن أقول: ان الرسالة التي حملها المفكرون الأحرار في أوروبا في صراعهم مع دين الفرون الوسطى والتي استفدوا من خلالها أوروبا من التخلف والرجعية هي الرسالة نفسها التي أخذها أنبياؤنا على هاتهم عبر التاريخ. أنا لا أقول ان تصور هؤلاء كان تصوراً صحيحاً ولكن اريد القول ان رسالة هؤلاء المفكرين في الصراع مع التعجير والانحراف والدين المخالف للناس وحفوفهم هي الرسالة نفسها التي كان الانبياء يحملونها على هاتهم وحطموها من خلالها جميع الاصنام واستهدفوا بها جميع ممارسات دين الشرك (دين التبرير والتخدير) وسيفي هذه الرسالة على عاتق كل انصار دين

الحق في المستقبل وعلى مدى التاريخ.

عمداً نقول ان دين الشرك كان مهيمناً على التاريخ وان الانبياء بدأوا حركة تاريخية نصحية ضد هذا الدين فانتا سنكون مسؤولين نجاه هذه الحركة ويقاها واستمرارها لأنها حركة تقدمية نريد ان تتجر مجرى التاريخ الذي كان ولا يزال نعت هيمنة الملاء والمنرفين.

ان رسالتنا هذه لا تتعلق بالماضي ولست رسالة رجعية بل هي استمرار لحركة انبياء دين الحق الانبياء الذين نهضوا من بين الناس. الانبياء الامثون - أي المنسوبون للائمة - الانبياء الذين وغبوا بوجه وعظا السلاطين وانباع الملاء والترفين. اولئك الذين كانوا ائما من طبقة الملوك او من طبقة الاقطاعيين. اي انهم كانوا بدون استثناء اقطاعيين من ناحية ويتنون الى العائلة المالكة من ناحية اخرى.

انما الشيء الذي لم يدركه المفكرون في اوربا (والذي لا ندركه نحن ايضاً) هو أنهم عثموا استبائهم الصحيح عن دين الشرك (الدين الطبقي الحاكم على التاريخ) على الدين - بمعناه الأوسع - وليس صحيحاً ان نقول: ان في التاريخ ديناً واحداً. إذ كان في التاريخ أدبان عديدة. وهذا الكلام هو نفس كلام «غوروبش» الذي يقول: «لا يوجد مجتمع عام واحد بل هناك عدة مجتمعات».

اذن يجب أن تفصل كل مجتمع عن غيره ثم تدقق فيه ونحكم عليه بشكل خاص.

في التاريخ كان هناك نوعان من الدين كما كان هناك دائماً صفان وفئتان متقابلتان على مر العصور: الفئة الظالمة وهي الفئة التي تكن العداء للحقيقة والعدالة والحرية والحضارة والرقي وهي الفئة التي كانت مستنولة بأشباع ولها وغرائزها المنحرفة في التسلط على رغاب الناس وحرمانهم من أبسط حقوقهم، وقد كان أفراد هذه الفئة من المعتدين ولم يكونوا من الزنادقة والكافرين.

لقد أيدت من خلال حديثي حكم السفكرين الاووبيين على الدين غير أنني أجد هذا الحكم ظالماً ومجحاً من هذه الناحية. فأنه ليس من الانصاف ان نضع الدين المجوسي والدين المزدكي^(١١) والدين المانوي والأديان اليونانية التي ولدت وترعرعت على يد الطبقات الاجتماعية الحاكمة وطبقات الاقطاع المترفة المرفهة في خندق مع أديان الحق (أديان الانبياء الزعامة) ثم نعلم حكماً على كل هذه الأديان وننظر اليها نظرة واحدة. وليس من الانصاف ان نضع دين الحق وانصاؤه الذين كانوا في جهاد دائم مع تلك الأديان (المنحرفة) والحكومات التابعة لها والذين قتلوا وسجنوا وعذبوا على يد تلك الحكومات، في جبهة واحدة مع الأديان الأخرى التي حكمت التاريخ.

(١١) ظهر «مزدك» في الطرف الشرقي من نهر دجلة في بلدة اسمها (ماندرا) وذلك في زمان الملك (قياد) والد (أفرشروان) الذي بدأ حكمه سنة ٤٨٨ م، وقد كان دينه إصلاحاً لدين (مانوي). (المترجم).

انتنا لو أصدونا حكماً واحداً على كل هذه الأديان نكون قد حكمنا على فئتين متناقضتين بحكم واحد وبالطبع لن يكون هذا الحكم حكماً علمياً ولا منسجماً مع العقل والواقع والأخلاق أيضاً.

أيتها المفكرون أين أنتم؟ هل يمكن الحكم على شيء بالترجمة؟ كيف حكم الاووبيون على دينهم؟ أنهم ناضلوا وعملوا ودرسوا وحفظوا ثلاثئة عام من الزمن وادركوا في نهاية الامر ان النصرانية هي التي سببت كل هذه المصائب لبلادهم. حسناً فهم ترجعوا ذلك ونحن أيضاً نردد نفس هذه الترجمة الفكر لا يعني ذلك، وإذا حصلنا على مفكر بهذه الطريقة فإنه سيكون مفكراً ترجعانياً وليس مفكراً حقيقياً. سوف انطرق فيما بعد الى طريقة صنع المفكر في المجتمعات الاسلامية^(١٢).

كيف يمكن الحكم على الدين الذي صنع أبا ذو بنفس الحكم الذي تحكمه على الدين الآخر الذي جاء ليبقي على كفة الظالم وسفب المظلوم والذي كان مسبباً للفقر وحامياً له؟

أيو ذره وجه الاسلام الطاهر الكامل العربي على يد النبي لم يكن بملك شيئاً - لا مالاً ولا متاعاً ولا ثقافة - ولم يبنأثر بشيء، بل كان روحاً انسانية نقيّة خالية من كل شوب، فكل ما كان عند هذا الرجل هو من صنع هذا المعمل وهذا الكتاب وهذه الرسائل يقول أيو ذره: «عجبت لمن

(١٢) راجع سلسلة التناجات (الكراس رقم ٢٠).

لا يجد فوناً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه».

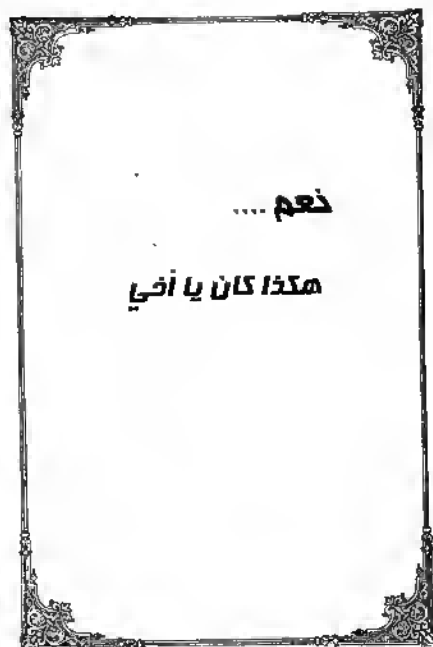
عندما كنت أتعهد بهذا الحديث في أوروبا ولم أذكر اسم صاحبه كان البعض يتصور أنّ هذا الكلام هو كلام «يرودن» لشدة نظرفه أو كان البعض يتصور أنه من كلام (داسنا بوفسكي).

يقول داسنا بوفسكي: «إذا حدثت جريمة قتل في مكان ما فإنّ أولئك الذين لم يكن لهم أي اشتراك في هذه الجريمة ستكون أيديهم مغطّاة بدم القتل أيضاً» وهذا كلام صحيح. انظروا الآن إلى كلام أبي ذر (الذي لم يكن مندباً فحسب بل كان الدين بعينه فقد كان أبو ذر دُبناً مجسماً ولم يكن أي شيء آخر فلم يتأثر بالمداهب المختلفة ولم يعنى بعد الثورة الفرنسيّة. بل عاش بين قبيلة غفار).

يقول أبو ذر: «عجبت لمن لا يجد فوناً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه» فلم يقل كيف لا يخرج على من سبب له الفقر، ولم يقل كيف لا يخرج على من استغله ولم يقل كيف لا يخرج على الفئة المستغلة بل يقول: كيف لا يخرج على الناس كلّ الناس! لماذا؟ لأنّ كلّ من يعيش في هذا المجتمع وإن لم يكن من المستثمرين فأنه مسؤول عن الفقر والجوع لأنّه يعيش في مجتمع يوجد فيه الفقر والجوع. كم هو مسؤول إلى درجة يكون فيها عدواً مهدوراً للدم. لأنّه شريك للمستثمر الذي سبب الجوع. أي أن الناس يعتبرون مسؤولين جميعاً وبشكل مباشر عن الجوع والفقر.

والأجمل من هذا هو أنّ كلام أبي ذر لا يشبه ميثاق الاسم المتحدّ الذي يقول: «بحقّ لكلّ شعب يقع تحت الضغط والغصب القيام لإحقاق حقوقه». فأبو ذر لا يقول: يحقّ لك أن تشعل هذا ولا يقول: يحقّ لك القيام ضدّ أولئك الذين سبّبوا لك الجوع حتى أنه لا يقول: يحقّ لك أن تنهر سيقك على كلّ الناس بل يقول: «عجبت كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه».

حينئذ أليس من الاجحاف والجهل العطلق أن نحكم على هذا الدين الذي ينظر إلى الناس وحياة الناس هكذا نظرة بنفس الحكم الذي نحكم به على الدين المسبّب والمبرّر للجوع. أنه لأمر مضحك ومبكي في الوقت ذاته.



أريد أن أحدث اليوم عن نفسي. لا لشيء إلا لأني أريد أن أنلو
عليكم خاطرة! خاطرة ترتبط بعد ذاتها بي وبشخصي كمثل لطيفة
ومجتمع ومدينة وتاريخ. أنا - من جهة - أنني إلى شريحة متقنة بثقافة
معاصرة تعلمون طبيعة المناخ الذي نعيش فيه ومستوى ارتباطها
بالدين، وطبيعة الأهداف التي تنشدها وماهية اللغة التي تتحدث بها.
وأنا من جهة أخرى، جنسكم من بلاد نائية، صحراء فاحشة لا أثر فيها
للممران والرفاهية والعيش الرغيد؛ حياة بؤس وشفاء وفقر وعوز.
وانتصبي - من جهة ثالثة - إلى طبقة ننسرف بأن ليس فيها دم لتدريف أو
نبيل من أولئك الذين صنعوا شرفهم بالسيف والذهب.

اشعر في ضلالة فطرتي أن آساني وامهاني جيلاً بعد آخر
ينحدرون من القفر والبؤس إلى أن يغيبوا في عمق التاريخ - وما أسرع
غيابهم إذ لا يذكرهم أحد في التاريخ سوانا نحن أبناءهم. فالتاريخ عدو
لدود لأجدادي وأجداد أمثالي.

ومع ذلك، فقد وقع اختياري على (الحضارة) كمحفل علمي
أواصل فيه دراستي ونحصيلي. وكنت على الدوام شغوفاً بآثار

الحضارة والتمدن البشري. معتبراً هذا، الآثار من دواعي الفخر والاعتزاز بالنسبة للانسانية جمعاء، وحينما وفدت على مدينة أو بلد سرعان ما أبادوا بالذهاب إلى الأماكن التي توجد فيها آثار قديمة لأهل ذلك البلد لأطلع عن كتب على حجم الانجازات والدور الحضاري الذي لعبه، في بناء الحضارة الانسانية، وما هي الروائع التي أبدعوها في الماضي السحيق.

في اليونان، وحين ذهبت إلى معبد دلفي وشاهدت أبنيتهم العظيمة، بهرنتي كل تلك العظمة والجلال، وكنت اذا سافرت إلى آسيا وأوروبا وأفريقيا أعمد مباشرة إلى الآثار العظيمة لتلك الأصناف حيث تمثل بالنسبة لي مظهر قوة تلك الشعوب ومستوى نبوغها في مجالات الفن والعمارة والصناعة، ونعكس مدى وثيق الحضاري، فكل واحدة من تلك الروائع العمرانية هي بمثابة كنز لا يقدر بثمن يمثل حصيلة كفاح النوع البشري على وجه البسيطة ويعكس مدى انتصار الانسانية في صراعها الدؤوب مع الطبيعة على مر التاريخ.

في روما، متاحف الفنون والإعماور، والمعابد الشامخة والقصور الفخمة، وفي الشرق الأقصى كالصين وكبوديا وفيتنام، جبال شامخة شيدتها أباد بشرية ونحتها أنامل أناس سهروا عليها اللبالي وأجهدوا أنفسهم وأعصابهم من أجل تحويلها إلى معابد لألهة السماء، ومن يمثلها على وجه الأرض من الكهف ورجال الدين. كانت هذه الأمور في

نظري دواعي فخر واعتزاز بالتراث الانساني وكانت تمثل لي أعز المشاهد والمناظر الخلابة التي أظير زهواً ودهشة لدى التمتع فيها واجالة النظري معالمها..

... إلى أن فررت صيف هذا العام السفر إلى إفريقيا. يشدني شوق عازم إلى وبة الأهرام الثلاثة في مصر. وعلى حين غرة أنها وكل ذلك الشوق وتبدلت كل الأواصر التي كانت تربطني بآثار الماضي ونشدني إليها بقوة. وجرفت مياه النيل معها كل التصورات التي كنت أحملها في رأسي واكتشفت أن كل ما كنت أؤمن بأنها مظاهر نمذّن وتحضر انساني ما هي إلا سراب خادع دام آلاف السنين، وقد بات الآن في نظري هشماً تذروه رياح مصر!

ما أن وطأت قدمي أرض مصر خلال أيام نموء، حتى عومت على زبارة: أثرها التاويخي العجيب، الأهرام. إحدى عجائب الدنيا السبع، وكنت أظير فرحاً إذ سبحت مثل هذا، الفرصة لي. استصحبني أحد الأدلاء لأستفيد من توجيهاته ونوصيحاته حول الأهرام وطريقة بنائها وتاريخها وأسرارها وسائر جمالياتها وفنونها الخفية!

أشار الدليل إلى تلك البناءات الشامخة وبدأ يحكي قصتها: قبل زهاء خمسة آلاف عام حمل (العبيد) ثمانمئة مليون صخرة كبيرة تزن الواحد منها طنين - كمعدّل - وجاؤوا بها من أسوان حيث السدّ العالي المعروف، إلى القاهرة ليشيدوا بها تسعة أهرام، ستة منها صغيرة وثلاثة

كبيرة هي التي اكتسبت الشهرة العالمية الفريدة قبل خمسة آلاف عام، حُذت ثمانمائة مليون صخرة على طول مسافة تبلغ (٩٨٠) كيلومتراً من أسوان إلى القاهرة ووصفت على بعضها لتشيّد بواسطتها مبانٍ ضخمة لتصبح فيما بعد أضرحة لأجساد القراصة وزوجاتهم بعد نحتيها بالموميا، المصرية!

لقد صممت الغرفة المركزية للأهرام من ستّ قطع صخرية كبيرة؛ تنهض أربع منها كجدران المقبرح والخامسة بمثابة قاعدة والسادسة ولك أن تتصور حجم ووزن الصخرة التي كان ينبغي عليها أن نتحمل ملايين الصخور الأخرى المتراكمة إلى أعلى الهرم ونصير ونفاوم خمسة آلاف عام لحد الآن!

أخذتني الدهشة وأنا أنظر إلى هذا البناء الرهيب، وفجأة، وقعت عيني على مجموعة صخور مركومة قوى بعضها على مسافة بعد حوالي (٤٠٠ - ٥٠٠) متر. فاستفسرت من الدليل عنها، فلم يكترو، بسؤالي وأجابني: لا شيء! أنها مجرد صخور! قلت له: أنها مركومة على بعضها، ولا تعني شيئاً! أريد أن أعرف سرّ هذه الصخور. كان يتنادى الاجابة عن سؤالي وشرحت أنه يتحاشى أن يطلب منه الذهاب إلى ذلك المكان، فالجو كان حاراً والهوا، لاقح والأرض صخرية ذات تضاريس وكان من المراضح أن احدلاً نحدّثه نفسه بالذهاب إلى ذلك المكان.

ولكن، ما قنيتي وأنا الذي علمتني التجارب أن اركز دائماً في

بحثي واستقصائي سواء في الكتب أو الآيات والروايات أو الآثار والأفكار، على كل ما هو مغيب ومهجور، ولطالما عثرت على المطالب الغيبة في أماكن وموارد مهمة لا ينبغي التمرّس لها إلا نادراً، ولا بسرّ عليها إلا مرور الكرام. ذلك أن القِيمَ إنما أن نكتف إذا قُدر على ذلك، وإلاّ فينمّ نشويها!

عزفت عن الأهرام ونوضيحات الدليل التي بوسع الجميع أن يعمروا عليها في الكتب والمجلات، وأصررت عليه بأن يكتفي بالكشف عن ماهية تلك الصخور، فأجاب على مضض: أنها أحاديده حُفرت في بطن الأرض لعدّة كيلومترات. قلت له: لماذا؟ قال: أنها مغابر السيد الذين شيدوا هذه الأهرام، فعلى مدى مئة وثلاثين عاماً، ويشكل يومي كان السيد يجزّون هذه الصخور لمسافة ألف كيلومتر وكانت أرواحهم تزهق نحتها زرافات زرافات، غير أن نظام الرقيق - الذي عطل اختراع العجلة والثقل على حدّ قول «شوارتز» لأن وجود العبيد يكثره كان يثبهم عن الحاجة إلى اختراعها - هذا النظام كان يلقي بأشلاء السيد الممّقة في هذه الأخاديد، ويأود إلى استخدام غيرهم.

ويومياً، كانت التقارير ترفع إلى فرعون بموت مئات العبيد، ومن ثم يؤنّى بأبام جديدة من أفريقيا السوداء لم تعود بعد على فساوة الظروف والبيئة، فترتفع معدلات الضحايا والوفيات، وكان الخط البياني يرتفع وينخفض حسب فصول السنة وبحسب انتشار الأوبئة

والطاعون. ولكن على أي حال فقد كانت الاحصائيات مروعة وتكشف عن عملية إبادة جماعية لأولئك العبيد، يضاف إلى ذلك عوامل أخرى من قبيل تقلب مزاج فرعون الذي كان مبتلى بحالات نفسية خاصة وأمراض خفية، وكذلك أسزجة أوياب العمل الذين كانوا ينساقون في اضطهاد العبيد والتفنن في امتصاص أكبر مقدار ممكن من العمل من أولئك المساكين دون وازع من ضمير أو قانون.

ثم إن فرعون كان مندنياً بزمين بما ووا، الطبيعة، وكان ذلك داعياً لرغبته في أن يدفن هؤلاء إلى جواره وعلى مغربة من هرمه لكي يواصلوا خدمته في ممانهم كما كانوا يخدمونه في حياتهم.

فلت للدليل: انركني وثأني، فأنني لا أطيق بعد هذا نحمل وجودك ولا وجود هذا الأهرام الخبيثة، سأذهب بنفسى.

ذهبت... لم تكن تمة مسافة طويلة بين أهرام الفراعنة وأخاديد العبيد، غير أن الطريق كان صعب العبور. والصخور تشدخ أقدام العابرين لتخلف ووا، هم خطوطاً من الدماء، لم تكن المسافة بأكثر من عدد أقدام. ولكن المسافة - دائماً - لا تتجاوز الأقدام بين الجبلاد والشهيد^(١).

(١) لمثلها إشارة إلى دفن الامام الرضا (ع) إلى حوار هارون الرشيد في مشهد بايران - (هنتريم)

جلست على مقربة من الأخاديد، وما لبثت قليلاً حتى شعرت وكأنّ رابطة قرابة وصلة وحس تربطني هؤلاء الصماء، وإن بيني وبين تلك الأهرام ومن فيها كراهية ونفرة؛ لقد عثرت على ذاتي وأنا أطل على فيرو أوحامي وأفريائي، وكأنني أعرفهم فرداً فرداً، أو كانت لي صفة مع كل واحد منهم أو شراكة في حياة ومصير. كنت واحداً من أعضاء هذا الأسر البائسة، وما أزال!

صحيح أنني جنت من بلاد وهم قدموا من أخرى، وأنا من عربى وهم من آخر، لكنها تصنيفات شيطانية تهدف إلى تطبيع الإنسان أرباً أوباً والمتلة به وجعل الأقرباء اجانب والاجانب أقرباء..

غير أنني اليوم أسمى سلباً لهذا الطائفة من بني البشر بعيداً عن مقتضى تلك التصنيفات والتقسيمات العنيفة، هم أقربائي وأنا الآن أواسيهم. وما أن التفت مرة أخرى صوب الأهرام أقا بي أشعر بهو؛ ومسافة تناسمة تفصل بيني وبين تلك المنظمة والجلال والبهاء، بل كأن بيننا عداوة وكراهية، وحقد على ذلك الفن والتمدن والحضارة، لقد أدركت أن كل الآثار العظيمة على طول التاريخ والحضارات المجيدة لم تقم إلا على انشلا، أسلاقي!

سواء الصين العظيم، وجميع القلاع والأبراج العالية وما إلى ذلك من الآثاو الشامخة، هكذا وأنت النور، صخرة، صخرة ولينة لينة من دماء أجدادي ولحمهم وعظمهم.

لقد رأيت بألم عيني أن الحضارة والتقدم لا يعنيان سوى العنف والقمع والتفكيك والاستغلال وأسر اليأساء ومصل دمايتهم... لبسفر عن ذلك بناء شامق مؤلف من ثلاث طبقات هي عبارة عن عمارة الظلم والجور عبر آلاف السنين وقد أوسيت دعائهم على اكتاف اخواني واخواني. مكتت جالساً بين تلك الصخور المتراكمة، ورأيت هؤلاء المدفونين في تلك العفر وهم يخاطبونني أنا خريج جامعات العلوم الانسانية في اوربا واسناد تاريخ الحضارات في جامعات ايران ليعطوني درساً من اول صفحات كتاب العلوم الانسانية، كان ذلك أول دوس في التاريخ وقد علموني فيه ماذا تعني الحضارة...

اخواني علموني ان كل ما نعلمته باسم الحضارة والتقدم والاخلاق انما هو كذب محض، وان ما يدرس في الكتب والحصص ليس سوى القرونيات والقارونيات والبلميات، وان التاريخ الحقيقي يمتد على المسافة ما بين الاهرام وهذا المكان، وان الحضارة والمدنية والاخلاق والتاريخ وجميع العلوم الانسانية لا تدرس لا في المدارس ولا في المعابد بل هاهنا تحت هذه الصخور، هاهنا تجدونها مدفونة مع اخواني...

ولك الاهرام الثلاثة التي لم نعد في نظري سوى التالوت المتشؤم: الاستبداد والاستعمار والاستعمار، هي التي اتممت هذا، الفاجعة لتكون دليلاً على سيرة الانسان المظلوم وشاهداً على مصير المحتوم.

اشكركم يا اخواني المدفونين هاهنا، لقد علموني أن كل ما تعلمته في السابق من اخلاق وفنون وعلوم وتاريخ انما هو من صنع هذا، الاهرام الثلاثة ومن يرفد فيها، من صنع فرعون والملا والسحر، هاهنا أنذا الآن أدفن تحت هذه الاهرام كل ما تعلمته منها، وأبدأ من جديد، وسوف انجيه فوراً من هنا الى (منى) ارض العشق والفتن، لأرسي الأبالسة الثلاثة أو قل الوجوه الثلاثة لإيليس، فحين جميعاً يا اخواني ضحايا لهذه الأبواب الثلاثة التي تعلمنا منها تاريخنا واخلاقنا وديننا، والواقع ان هذه الثلاثة هي التي دفنت التاريخ والاخلاق والدين تحت هذه الصخور.

عدت الى المدينة، وعزفت عن التجوال فيها خشية ان تطيح في مخيلتي صورة أخرى غير صورة تلك الصخور المقدسة، لم اكن أرتعب في أن أفكر بغير ما تعلمته من تلك الصخور وما وجدت فيه نمام وجودي. ذهبت مباشرة الى غرقتي وجلست فيها اصفع وأستعرض وجوه اخواني الجدد، منه وثلاثون عاماً يمدل ثلاثين الف من اخواني، من اسوان الى القاهرة، ذهاباً واپاباً، قبل خمسة آلاف عام.

نعم! خمسة آلاف عام مضت. كان فيها اخواني تحت نير سباط الجلادين وصخورهم، ولأنك انهم لا يعلمون ماذا حصل بعد خمسة آلاف سنة، ولا شك ابشاً انهم يريدون ان يعلموا... تناولت فصاصة ووفى وكثيت وسالة الى واحد من مئات الآلاف المقبورين في ذلك

الأخدود، وقدّمت له نغزيراً موجزاً عما جرى علينا في غضون خمسة آلاف سنة، خمسة آلاف سنة لم يعد موجوداً فيها، ولكن الرئي والعبودية استمرّا خلالها بأنماط شتى... جلست وشرعت أكتب:

«رحمت أنت، ونحن لم نزل نبني الحضارات العريضة ونهباً لأجل فنوح وافتخارات ومآثر».

كانوا يقدمون إلى قرانا وضياعنا ويجروننا كاليهاثم وراءهم، وذلك لتصنع فيورهم، وإذا ما انتهينا من بناء تلك النور العظيمة كان المجد والعزّ لهم وحدهم ومنى ما انطفأ بصبغ رمنا الأخير في هذه الحبا، خلال هذا العمل المهلك. غدونا إحدى صخرات تلك المقبرة.

كانوا - نارة - يأخذوننا إلى الحرب، حرب على أناس لم نعرفهم ولم نكرههم من قبل، حتى على رفاقنا ومواطنينا وأقربائنا.

كانوا يدفعوننا إلى الحرب عنو، في حين أن آبا بنا وأمهاتنا الذين خط الدهر خطوطه السوداء على سيماهم - ينتظروننا بفارغ الصبر، ولكن انتظارهم هذا ظلّ بلا جدوى... ولا جواب!!

هذه الحروب - على حد قول أحد العلماء - كانت عبارة عن: اشتباك بين فريقين لا يعرف أحدهما الآخر^(١).

كانوا يأخذوننا إما لنقتل، أن لم يكن النصر حليفنا فالكوارث

(١) نفوسوا في هذا الحديث جيداً لأنه يوضح مسار التاريخ كله - المؤقت.

والنكبات والخراب والمدن المتهمة والمزارع الجردا، نصبح من نصيب آباتنا وأمهاتنا، وأن انتصرنا كان الفخر والعز والمباهاة بسجل للفخر، ونحن العرائس المنحركة خلف الكواليس... لم نحظ بشيء من هذا النصر.

أخي! نهضة وتحول عظيمان ظهرا بعدك، القراعنة والحيابرة وطفا، التاريخ بذلوا طريقة تفكيرهم، لهذا فرحنا!! حيث أن القدماء كانوا يعتقدون بأن ارواحهم خالدة وبعد موتهم ستظلّ نحوم حول مقابرهم، ومنى ما بقي الجسم سالماً ستظلّ رابطة الروح معه كما هي فائمة، ولأجل هذا الاعتقاد ارغموني وارغموك على رصف هذا الصخور الهائلة المميّنة.

ولكن مع مرور الزمن أمسوا أكثر تنوراً واصبحوا لا يفكرون بالموت من بعد، لهذا تركوا تلك العقائد البالية وكانت لنا - هذه - بشرى سارة، بشرى النجاة من بنا، تلك النور وجلب ثمانمائة مليون صخرة من مسافات آلاف الكيلومترات ورصفها على بعض...!!

ولكن يا أخي!! لم نعتز هذا البشرى طويلاً، إذ تسريوا كأنتمل إلى قرانا وأجبرونا على العمل بعدك، ومرة أخرى تكررت نفس المسألة! مرة أخرى حملوا على هاماتنا وأشلاتنا الصخور ولكن لا لفيورهم هذه المرّة، بل لفصورهم وأسوارهم العظيمة، تلك القصور التي امتزج بناؤها بدننا ولحمنا.

أخي: مرة أخرى كنا نحوم كبير الساعور في دواصة البأس .
منلهن إلى ناعذة يطل منها التور فكانت نهضة «أنبياء عظام» زرادشت
العظيم . ماني^(١) الكبير . بودا الكبير . كنفسيوس الحكيم . لاورنسوا
المتصق ... كانوا آمالاً نبرعم في الطريق . لايد أن الآلهة بعثت هذه
الشخصيات العظيمة لإتقاذنا نحن المحرومين والمستضعفين من اللذ
والعبودية والهرمان وليحلوا الأيمان والعبادة محل الظلم والرق .

ولكن يا أخي: هؤلاء المبعوثون من طرف الآلهة كانوا يقدمون
دون أن يأنهوا بنا ولم يذكروا اسماً لنا . كانوا يذهبون إلى قصور الحكام
مباشرة . فكنفسيوس الحكيم مثلاً الذي كان يتحدث عن المجتمع
والإنسان . وكنا نصدق ما يقول . لقد ذهب إلى وواوة «نو» وأصبح ندبماً
لأمراء الحسين .

(١) ماني . اسم رشان ظهر في زمان (لردشير) وبهضم يقول بل في زمان الملك
(بهرام) . ظهر بعد عيسى (ع) . وقد قتله (بهرام بن هرمز) . اسم كتابه (أرزنك)
وعقائده مزيج من عقائد الزردشتيين واليهود والمسيحيين . يقال إن أمه من
نسل الملوك الآشكانيين . وأباء من رجالات (همدان) . هاجر إلى (بابل) . وولد
(ماني) في تلك البلاد عام ٢١٦ م . ادعى النبوة . بعد أن اطلع على الأدبيات
الموجودة وسنى نفسه (فار قليط) الذي أخبر عنه المسيح . ومن أقوال ماني:
«يبيشر الأنبياء بأوامر الآلهة أحياناً من الهند بواسطة (زردشت) . والآن أرسلني الله
لتشر دين الحق في بابل» و «أرسلني الله نبياً من بابل حتى فصل دعوتي العالم
أجمع» . (المترجم) .

وبودا - حيث كان من كبار أمراء «بناوس» فد قاطع الجميع وغار
في نفسه لذهب إلى «نبروانا» - التي لا أعلم أين هي - ولهذا نراء
ممنكفاً ليخرج بأفكاوه العظيمة إلى الجبال ... !!

وزرادشت الذي كانت آذريجان محل بعثته - وبدون أن يكلمنا
نحن المحرومين والمعذبين - ذهب مباشرة إلى بلخ فمكث في بلاط
كشناسب .

و«ماني» الذي نحدث البنا عن التور ونهجم على الظلمة . ظل
يهمس في آذاننا - نحن المسجونين والمحررين في الأرض - عن الظلم
والظلمة . وهكذا لم نزل نتحايل على أنفسنا ونقول: .. أجل هذا هو
المتجني الذي ظهر لإتقاذنا . ولكنه افصح عن لب كلامه ضمن كتاب
اهداء إلى الملك شابرو الساساني . هذا وقد ألفى خطاباً أثناء حفل
تتويجه وكان بفخر يرافقه إلى سرنديب والهند وبلغ ومن ثم نراء
ببر هزيمتنا بهذه الأئسودة:

«كل من يهزم ويدحر فهو من ذات الظلمة .

«وكل من يهزم ويتضرع فهو من ذات التور» .

ولهذا نرانا - نحن المهزومين والمستضعفين - نملأ طول وعرض
التاريخ دوماً .

أخي: ذهبت «أنت» ضحية لهذه الأبنية السامخة و«أنسا» منذ

رحبت «أنت» صرت قرباناً لهذه القصور الشامخة. وعلى حين غرة وجدت نفسي تحت فيود ونير من هم خلفاء فرعون وفارون - الذين يبيعونني ويشترونني مني ما طاب لهم ذلك... أجل يا أخي... لقد ظهرت بمدك طبقة رسمية تدعى «الكهنة» ففي فلسطين وإيران ومصر والصين، بل وفي كل مكان يوجد انسان محروم مثلي... كان لابد لي أن أجز على ظهري الصخور لأبني بها تلك القصور الفخمة والمعابد والهياكل الرقبة.

ويعد هذا وغير هذا قان «خلفاء الاله» وهذا «النجي» كانوا يطوفون وفاتنا بقلادات أخرى... فباسم الركة يسرقون وينهبون وتحت شعار الجهاد يبعثوننا الى ميادين الحروب، حتى انهم كانوا يرغبوننا على أن تقدم أطفالنا فرائين على مذبح المعابد والهياكل ونحت أرجل الاصنام.

أخي، أنتوي ما أعانيه... لا؛ فان الهياكل كلها عامرة بدم اولادنا الابرياء... وهكذا أصبحنا - مرة أخرى - لعبة سيد الآلهة اضافة الى وارثي فرعون وفارون.

أجل... اعتصمت الكهنة المجوس أغلب أراضينا وهكذا فعلت الكنائس حيث كنا عبيداً بل اداة كادحة لهم.

دفعونا لتشييد المعابد والقصور الفخمة في الروم والهياكل العظيمة في الصين... وكان الهلاك من نصيبنا... أما النصر والعز فللكهنة

والفسسة ونجار الدين ووارثي فرعون وقارون...!!

«أنا» الذي عشت بمدك آلاف المتبين وشاهدت حتف رفاقي واخواني ولهذا اثابني شعوب بأن الآلهة أيضاً نكروهم ونبض الصيد. ووبداً رويداً أحسست بأن الدين هو في حد ذاته قيد قيدونا به والكهنة والقسسة ورجال الدين هم أنفسهم وسائل أخرى لاستعبادنا واستحكام هذه القصور وتلك القبور.

ومرت الأيام... والحكام والعلماء الطام - الذين كان تفكيرهم أفضل منا - كادسوا القائل بأن: بعض الناس ولدوا لأجل أن يكونوا عبيداً وبعضهم جاءوا الى هذه الحياة ليكونوا سادة وتبلاء اشرافاً... لهذا أيقنت بأننا ما جئنا إلا لتكون رقيقاً وليس لنا حظ غير هذا. وحظنا ما عساه ان يكون سوى الظلم والجور والضرب والتخفيف والعبودية، ولا شيء غير هذا...!!

ولكن يا أخي: فجأة وعلى حين غرة علمت ان رجلاً هبط من جبل وركن الى معبد مزيجراً: «أني رسول الله»...

ومرة أخرى، كادت ارنماشة سهية نحس انتفاسي... هل ان خدعة أخرى تكمن وراء هذه الصيحة... ولكن فتح فاه فقال - وأنا لا أصدفه -:

اني بعثت من قبل الله القائل: «وَأُتْرِبُ أَنْ تُعْبُدَ عَلَى الدِّينِ



استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوائين»^(١).

يا للعجب...!! كيف أصبح الاله بكلم العبيد والمستضعفين؟
ويعبدهم بالثجا: ويعددهم بالزعامة والقيادة، ويجعلهم وأوشى
الأرض؟.. كدت لا أصدق، قلت: هو الآخر كياتي المسييرين
والمصلحين و«الانبيا» في ايران والصين والهند... لا بد انه احد الامراء
القبلاء الميمونين لتنفيذ القدرة والسيطرة ونكديس القوى ضد الشعب.
فالوا: لا، انه بنيم والكل قد شاهدوا، مروا وهو يرعى الاغنام ورا، هذا
الجبل، قلت: ماذا اسمع...!! كيف هي مشيئة الاله هذا، العرة... بصطفي
وسوله من بين الرعا؟! فالوا: اجل، هو آخر حلقة من سلسلة الانبيا،
الرعاة، حيث ان اجداد، كلهم كذلك، ذابت ايعادي في ظل رجفة ملؤها
شوق صاوخ وصبعة خرسا،، إذ ان نبيا يبعث «منا» ولأول مرة...!!
آمنت به وابتقت برسائله لانه جمع شمل اخواني وزفافي الفقراء
حواله.

بلال، العبد الحبشي، سلمان، أسير من اسراء ايران، أبو ذو،
البائس المجهول وسالم، غلام زوجته خديجة... الخ، كل هؤلاء،
اليؤسا، البائسين، كل الاسراء والعبيد وكل المظلومين والمضطردين
اصبحوا قناد: قومهم.

(١) القصص: ٤.

صدقته وآمنت به لأن فصر،! كان ذا حجرين أو ثلاثة صنعت
من طين حيث اقام هو بنفسه البناء.. وبلاطه لم يتعد حقة من الاخشاب
المنراصفة على بعض من سف النخيل!! اجل، هذا كل ما كان يملكه
ويؤثر به على مفايش الناس من جراء بناء فصر، هذا!! هكذا كان
وهكذا رحل.

جنت... هارباً من الكهنة الميجوس... من الظلمة الذين كانوا
يسوفوننا كاليهاثم الى حروبهم التافهة ونزعائهم الطائفة...

فررت واعتصمت به. قدمت الى مدينته وعشت معه ومن
حولتي وفاني الرقيق والاسراء، والمحرومون وجميع مستضعفي العالم...
فضيت أيامي معه حتى واح في غفوة السرميدية تاوكاً ووا،، شمسنا
خلف سناو داكل.

أخي: وفجأة وأبت المعابد العظيمة تشق عنان السماء، مرة أخرى
ونعني باسم ذلك النبي الأمي في حين ان السيوف التي كتبت عليها
آيات «الجهاد» كانت تهدد وجودنا في كل آن...

ومرة أخرى امتلأت بيوت المال والخزائن بأموال تهبيوها
وسليوها وانتزعوها عنوة منا... ومرة أخرى جا، خلقنا هذا الرسول
ومسخوا القرآن واخذوا شبابنا عبيداً لتصورهم، ياعوا امهاتنا في
الأسواق البعيدة وفتلوا وجائنا باسم «الجهاد» في سبيل الله، واستولوا
على كل ما نملك باسم «الزكاة».

بأش فافل دې في قلبي... أجل بنست... لا أدري ما أقفل؟ لقد ظهرت سلطة جديدة تخفي خلف واء التوحيد نفس الاصنام التي حطمها ذلك «الرجل» وتوفد في مساجد «الله» ناو الكذب والخديعة... ومرة أخرى تكروت نفس الأمساء، تكروت نفس الوجوه الفرعونية القارونية التي نعرفها أنت يا أخي جيداً... اخذوا باسم الله وخلافة رسوله يضيرون الناس بسوط الدين... ونحن - مرة أخرى - مشيتنا في أزقة العبودية لنيني مسجد دمنق العظيم!.. ومرة أخرى دوت هنا وهناك صيحات ندعو إلى الحرية... فصوصنا دوة في نوعها وطرازها... مساجد محيرة للمقول... كالفقر الأخضر في دمنق وداو خلافة الف ليلة وليلة في بغداد... كل هذا كان بنمن دمنق وحباتنا ولكن هذه المرة... باسم «الله».

ومرة أخرى صرت لا اصدق ان هناك خلاصاً ونجاة...!! لان العبودية والموت الأسود كائنا مقدوران لنا.

أجل... من كان ذلك الرجل؟ ترى هل كان يخفي خلف تلك الرسالة الطروحة لخداعنا؟! كان مؤسس هذه الايدولوجية التي عدونا في دهاليزها وزناناها كالخرق البالية... أجل كان هو الداعي لحرق مزاولنا وشن الغارات على ممتلكاتنا وقتلنا كالذباب... لا.. كلاً... ذ «أنا» و«هو» أمسينا ضحايا...!!

لا أدري... لم يكن هناك أسامي سبيل آخر أسلمك... لمن

التنحي، إلى الكهنة المجوس؟! كيف ذلك؟ إلى المعابد والهيكل التي كانت ولا زالت قائمة على أساس الظلم والتزوير؟! إلى القادة... إلى كل الذين يتنادون بالحرية والوطنية؟ لا... لأن هؤلاء كلهم فقدوا مكانتهم ومناصبهم وسطونهم الفائرة بد صيحة هذا «الرجل» لهذا تراهم يتكالبون لأجل احبا، ذلك التراث البالي المتهرى من جديد.. وبعد هذا وغير هذا... إلى أين أفدر أن أذهب...؟! إلى المساجد؟ ولكن ما الفرق بين هذه المساجد وتلك المعابد..؟!

ورفتة - يا أخي - وأيت السيف التي حفرت عليها آيات «الجهاد»... والمساجد التي كانت طائفة باسم «الله»... والمآذن التي كان يدوي فيها اذان «التوحيد»... والوجوه المعروفة التي جلست على سرير الحكم باسم الخلافة ونحت شعار - الامامة والافتاء - بهج ذلك «الرسول»... رأيت - يا أخي - كل هذا مرة واحدة، وهي تلتفي في بؤرة واحدة وذلك لأجل جزنا في أوفه الاستعباد وساحات الحروب والهلاك والدمار والتكفير...و...

لأبد أن نعلم يا أخي أن واحداً آخر «منا» أصبح ضحية لهذه الجرداء، القاتلة في مسجد يذكر قبه اسم «الله»، أجل إنه الامام علي، قريب وحبيب ذلك «الرسول» فقد اغتيل في محراب «الله»... ولاقي الظلم والمدوان هو آل بيته فسلب وفيلك وقبل جميع الصميين والمحرومين على امتداد التاريخ، حاويو، وغاروا على بيته باسم

الجهاد والزكاة...

وذلك «الكتاب» الذي لا ريب فيه، فبيل أن يصبح إذا؛ لاستعبادي ونهي وتطلي، وضع فوق الرماح ليكون الفضل ولتكون النكسة من نصيب ذلك الرجل.

يا للهول... هذا كل ما كان... إذاني وجدت بعد انقضاء خمسة آلاف سنة كييسة قاتلة، رجلاً يحكي لنا عن «الله» ولكنه لم يعرض حديثه للأمرء والنبلاء بل «لنا»... لم يكن كيوداً ليذهب إلى «ثيروانا» ولا كالرهبان ليخدع الناس ولا كالعرفاء الذين ينفون الوصول إلى «الله».

أجل قد وجدت رجل جهاد وعدالة... فإن أخاه - عفيل - أصبح الضحية الأولى لهذه المدافاة الجافة الصارمة... رجل، كانت زوجته بنتاً لذلك «المبلغ» الكبير... التي، كانت تستغل وتحمل ككل المصاملات المحرومات، تتحمل الأذى وتتجرع القذى فتذوق الجوع والفضى بلحمها ودمها...

أجل يا أخي... وجدت رجلاً كان أولاد، وأونين لشكك الراية الحمراء، التي ظلت تغور دماً حاراً نحو السماء على امتداد التاريخ، ولهذا نراني بعد مضي خمسة آلاف عام ومن حول تلك المعابد والآبنة التي أعرفها «أنا» ونعرفها «أنت» فذهبتاً ضحاً ياها... ومن خوف ذلك الاستبداد وتلك الفرعة التي أعرفها «أنا» ونعرفها «أنت»... أجل بعد

مضي كل هذه الأعوام نراني اعنصم بهذا «البيت» اللبني الوضع... المهجور، الصامت... كأنه بيت أموات... ظل «هو» وحد... ذهبوا كل وفاني ذلك «المبلغ» الكبير... ارتحلت زوجته... لا بدري علام بلوى... كان ييكي لأجل ما ابتلينا به «أنا» و«أنت»... وهو يجري بين نخيل بني النجار... وبناجي بيكانه «الله».

أخي، كان «هو» والذين معه كلهم «منا»... من المحرومين... نرا، ولأول مرة يستخدم القصاحة والبلاغة في بيانه وخطاباته القرا، لأجل انقاذنا وتوعيتنا، لأجل نيرير وتوجيه محروميتنا وتدعيم الانظمة الحاكمة... كان حديثه أفضل من «دموسنس» ولكن لا لإحقاق حقوقه الشخصية فقط... كان كلامه أبلغ من «يوسوبه»^(١) الخطيب ولكن لا للمنتقى في بلاط لوى بل لأجل المظلومين ليصرخوا بوجه الظلمة... سيفه لم يشهر للذود عن نفسه وعائلته وقومه... ولا لحماية المتفردين المقتصرين... بل كان اسخن وأصدق من «سياراتاكوس» لأجل خلاصنا من الذل والعبودية... كان يفكر أحسن من «سفرط» ولكن لا لأجل انبات الفضائل والأخلاقيات التي عليها طابع النبلاء، المتعجرفين، بل

(١) جاك بيتتي، يوسوبه، لاهوتي وواعظ وكاتب فرنسي، ولد في ديجون عام ١٦٢٧، ومات في باريس عام ١٧٠٤، اشتهر في باريس بمواقفه ريتانيه التي ألقاها بين ١٦٦٧ و ١٦٨٧، تحول إلى فيلسوف ومؤرخ حرساً منه على فائد: تلاميذه نكتب المقال في التاريخ الكلي الذي حاول فيه التركيب بين النظام الإلهي والتفاعلية الانسانية. انظر: معجم القلائد، جورج طرايشي، ص ٢٠٢.

لإحفاق القيم الانسانية الأصيلة لأنه لم يكن من ورثة الفراعنة والكهنة، فهو لا يملك محراباً ولا مسجداً، انه شهيد المحراب.. «هو» أسوة حسنة للمدانة والفكر البناء، ولكن لا، ثرواها المكتبات والمدارس، وهو لا يبدؤ من العلماء، الاستفراطيين الذين يصلحون لأن يوضعوا في المياوس للبيع، في حين انهم من شدة الفكر العميق لا يفهمون مصائر الناس ولا يعانون شيئاً من عذابهم ولوعاتهم وجوعهم القاتل.

انه في ذات الوقت، حينما تجول روحه العظيمة في أرجاء السماوات، يسمع، اثنى الاطفال البنائي فتشابه رعدة معركة تسنولى على كياته كله.

انه يصرخ لأجل جور جرى على امرأة يهودية في حين انه نسي شدة ألم ضربة العنجر القاتلة في المسجد، فالتأ؛ «فوت وريت الكمية»!

أجل يا أخى، انه ملك البلاغة والكلام العذب الساحر ولكن حديثه هذا لا ينشأه ابداً بالشاهنامة، تلك الملحمة الحماسية التي تحوى على ستين ألف بيت، حيث انك خلال هذه الملحمة كلها لا تجد حديثاً «عنا» سوى مرة واحدة فقط.. أجل مرة واحدة تحدث الشاعر «فردوسي» عن واحد «منا» يدعى «كاوة»، الحداد الحر، المناضل من أجل الحرية والنهضة والغلاش والتجاء، لرفاهة الكادحين، ولكن بطلنا الجسور هذا ضاع وظل مجهولاً قبل ان نشر نهضته وبنع طريقته الى الشاهنامة.. أجل لن نعرض شخصيته بشكل واضح بين، علام؟ لأن

شخصية «فريدون» النبيلة ونسبه العريق طغيا على بطولته هذا الرجل الكادح... ولذلك فأتينا لا نرى اسمه في (الشاهنامة) إلا خلال أبيات معدودة فقط.

والآن يا أخى! انميش في عصر ومجتمع يحتاج «اليد»... فهو لا يتأون بيا في الحكما، ولا يشابه البيافر، والعلما، إذ أنهم كانوا عيافرة فهم ليسوا رجال أعمال... وان كانوا رجال أعمال بل ومن الكادحين فهم ليسوا مفكرين وعيافرة، مفكرين ايضاً فهم ليسوا رجالا مباديين الحروب والجهاد وان اجتمعت.. يفرش المحال.. الثلاثة عندهم في آن واحد، فهم ليسوا انقباء، وازكيا، وان توقرت لديهم كل هذه الخصال فهم لن يعرفوا الله حق معرفته بل تراهم ينخبون في دوامة مظلمة عشوا.

انه وجب كل هذه الأبعاد الانسانية كواحد من الكادحين مثلي ومثلك تماماً، بكذ وتعب، وبفس الأثامل التي خطت تلك السطور الملكونية في «نهج البلاغة» يدفع بمعرائه في الاوض لبحفر بئراً أو لبحرث فتاة ويفتح الماء على الاواضي البائس، كأخذ العمال والزراع تماماً ولكن لا لهذا وذاك، بل لفسه، يصرخ في فخر الغشاة، جروني الى الاعلى، وحينما يجرونه الى فوق وهو مسطى بالوجل، بنهر الماء، في تلك الاوض الطشا، المحرقة لحر المدينة، فتخرج بنوهاشم، ولكنه قبل أن يتنفس الصعدا، ويسرح قال: «طوبى للذين

سيرثوني، فإنهم لم يحصلوا على فطرة من هذا الماء...

أخي والآن... وفي هذه الحالة حاجتي اليه ملحة ولا بد أن أعلم منتهى عجبني في هذا الطريق الشاق المليء بالمصائب والويلات، لأن العنارات والثقافات والأديان والمذاهب تغيرت وأدبرت وانقلبت على عتبتها وأوغموا الإنسان ليكون حيواناً مستهلكاً اقتصادياً أو حيواناً لا يعرف سوى ذاته والاستغاة فقط، صارفاً عمره في ائمة المعابد، وقد يكون انساناً فكراً عاقلاً ذا بصيرة ولكن دونما عاطفة أو احساس. كأنهم لا يحملون بين جنبيهم قلب انسان، اناس قسريون، غلطاء، لا بدوكون معنى للمحبة، وقد يكون رجل حب واحساس وعاطفة ولكن دونما تدبر ونعل، عظمهم خالي من التفكير السليم. دونما علم - عيها، دونما منطق واستدلال... غير انه رجل كل هذه الخصال... وبك الكدح والتعب والعمل... وبك البلاغة والقصاحة... وبك الجهاد والحرب... وبك الاخلاص والوفاء... وبك المصائب والحرمان... وبك السكون والسكوت... وبك الصرخة المهيبة... وبك العدل والقسط.

والآن يا أخي... نعيش في مجتمع تسيطر الأعداء على نصف أو يا أخرى على كل العالم، فيدفنون جيلنا هذا الى استعباد جديد لم بأقوى من قبل.

والآن إذا نظرت الى ظواهر الأمور، وبشكل فئري وسريع خاطف نرانا اناساً احراراً، لسنا عبيداً لأحد أو فئة أو تكتل اجتماعي

أو سياسي أو غير ذلك، لأن العبودية وفضة الرقيق أمست من القضاء بالرجعية البالية... ولكننا - يا أخي - ابتلينا بعبودية جديدة افطع وانتم من عبوديتك «انت»... نهبوا تفكيرنا... فبدوا فلولنا وسلبوا ارادتنا... انهم يجعلوننا تنمو في فضاء شاحن باستعباد منوج بشعارات الحرية وبقدوات العلم. علم الاجتماع، الثقافة، الفن، حرية الجنس، حرية تدريس الشخصيات، حرية الاستهلاك وحرية الاستيلاء. والنصب... اجل بتقدوات هذه العلوم استأصلوا الغاية والايمان والاحساس بالمسؤولية والاعتقاد بحذهب «معين» من ادمغتنا ونفوسنا.

والآن يا أخي... فنحن امام هذه الانظمة الحاكمة نثبه الى حد بعيد، الاوعية الملوثة الجميلة الجوفاء، نستوعب كل ما يصب في ادمغتنا ونفوسنا.

والآن... باسم الفرق والمذاهب... باسم السلالة والنسب... باسم الأوطان والحدود... وحتى باسمه «هو» وكذلك باسم متازعيه ومخاصمييه... باسم هذه التمايز المصطنعة قطعونا ومزقنا قطعاً صغيراً ليسهل عليهم بلعنا... باللترفة... باللتفاني والتفاني... باللتنننت والتبئر...!!

جعلوا مناصريه وشيعته ينفثون على أنفسهم ويمزقون رفاقهم واخوانهم... أعداء الداء مع بعض... لماذا؟ لأنه لا يسيل بديه حين

الصلاة... بعنلي دم الانتقام في وجوههم... لأنّ ذاك يسجد على نربة وهذا لا يسجد عليها.

ابتوا في نفوسنا الاشتباك والتزاع والمشاجرة بشكل فطيم.. نفوا وواد الفكر الاحرار وأبعدوهم الى افراط بعيدة عنا في حين انهم بدأوا بمنلون دوو الراعي المحافظ والذائد عن رعيته وقطيعه...!!

أخي.. يا أخي... لقد كنت تعرف سيدك ومولاك وكذلك ألم الخيزوان والسوط جيداً دونما تخبط أو إيهام... كان بسيراً عليك ان نشر به وتحسه... اذ كنت عاوفاً بعبوديتك... ونعرف أيضاً سبب هذه العبودية... وندرى متى أصبحت عبداً ومن هم الذين استعبدوك؟ ولكننا الآن ابتلينا بنفس مأساتك هذه ولكن بدون أن نعرف الدين يجعلونا عبيداً لهم في فرتنا الحاضر هذه ولا ندوي من قبل أي قسنة أو جهة نسلب ونتهب وكيف وضعنا في شرك الذل والاستسلام والخضوع وانحراف الافكار والعقائد والعبودية المتخوومة السوداء الرهيبة.

أخي.. يا أخي: الآن.. بحرّوتنا كاليهاثم الى حظيرة الرق والاستعباد ليستنفقوا دماءنا ويسنفلونا أكثر بكثير من عسرك وجيلك... ليس امامنا طريق سوى نشغل هذه القوى ووؤوس الأموال والمصانع والثروات التقنية الهائلة والانتاج.. يجب أن ندير عجالات هذه القوى يدنا ولحمنا واضطهادنا واستضعافنا ولا يصيبنا سوى ما يسدّ رمقنا او لا يسد...

الحرمان والتمييز العنصري والظلم والجور في عصرنا اشد وأكثر من عسرك ولكن بتقارب جديد وطريقة اجدد.

أخي.. يا أخي... هذا علّي تراه بندم حياته كلّها لأجل هذه الكلمات الثلاث...

خمسة وعشرون عاماً كلّها تقصبة وفداء ونضال من اجل غرس الایمان والعقيدة في قلوب اناس غلاظ متوحشين مستقرين.. خمسة وعشرون عاماً آخر فضاها في صمت مرير وصير فائل كان في عبته شجي وفي حلقه قذى من اجل وحدة المسلمين انجاء الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الايرانية.. كذلك خمسة وعشرون عاماً آخر من بقية حياته كانت مفعمة بالجد والجود ومملوءة بالعذاب واللوعة من اجل استفراو العدالة الاجتماعية ومحوكل آثار العنذ والضغائن بيسفه الجباو ذي القغاو لتكون احراواً نملك مصائرنا ولا نعيد إلا الهأ واحداً مفندواً عزيزاً ولكن يا للاصف لم بقدو... لن بقدو... مع هذا فقد علمنا بمنهجه ومدوسه وطريقه وكذلك الزعامة والسيادة دوماً... منهج العدالة وزعامة الناس وعلى هذا فهر تاوك وواه ثلاثة شعاعات وعلى اثرها فقد قدم نفسه وعائلته وكل ما بملكه على منصة الاستشهاد والفداء وذلك لأجل هذه الكلمات الثلاث الخالدة في مجرى التاريخ: المبدأ... الواحد... العدالة الاجتماعية...

توينبي . الحضارة - الدين

حوار مع توينبي^(١)

قال لي: دعني اطرح هذه المسألة الشخصية قبل أن نبدأ حوارنا. أنت تعرف أنني رجل مؤمن وانظر الى الدين من منظور كونه حقيقة وضرورة ماثلة إلا أنني أعاني الشك والندد في أفكاري وميولي السياسية، فكثيراً ما أشعر بالحيرة في كيفية الجمع بين نزعتي الدينية التي لا تتلاءم بطبيعة الحال إلا مع نظام اجتماعي - سياسي مثالي، وبين افكاري السياسية المتأثرة والمعجزة جداً بالنظام العلماني. فأني بصفتي مسيحياً مؤمناً أدعو الى نظام حكم ديني ويصغي نصيراً للديمقراطية تؤيد نظام الحكم العلماني وهذه الازدواجية جعلتني أعاني دائماً من صراع واحترام عنيف في أفكاري.

قلت: أنه صراع منطقي وضروري وليس بوسعي إلا أن تختار

(١) أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)، مؤرخ وفيلسوف انكليزي (١٨٨٩ - ١٩٧٥)، أكد في مؤلفته الرئيسي «دراسة في التاريخ» إرادته في بناء فلسفة التاريخ انطلاقاً من دراسة إحدى وعشرين حضارة. من مؤلفاته الأخرى: «الحرب والحضارة»، «الحضارة في محنة»، انظر: معجم الفلسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٤٦.

واحداً وتدفع الآخر.

قال: اظن أنك نماني نفس هذا الصراع بشكل أكثر حدة؛ لأنك مزجت الاسلام مع أفكارك السياسية، اللهم إلا أن نقول: أنك لا تؤمن على الاطلاق بنظام الحكم العلماني وهذا ما يستبعد نصوره لأن منهجيتك في التفكير وحتى وجودك في هذا الحقل يدلان على أنك تؤمن ايماناً راسخاً بالحريّة والديمقراطية. إذن أنت تطالب بنظام حكم اسلامي من جهة ونظام حكم علماني من جهة أخرى، فكيف يكون ذلك؟

في هذه الأثناء، تحدّث شخص ثالث كان جالساً معنا وقال بمزاح: «إن حلّ هذا التناقض هو أمر سهل بالنسبة إليّ» (وأشار إلى). اظن أنه سينبت لك الآن أن نظام الخلافة الاسلامي هو نوع من الحكم العلماني؟

قلت: كلا، على الاطلاق، فالخلافة ليست نظاماً علمانياً بل حتى لا يمكن اعتبارها حكماً اسلامياً، إنّها حكومة عصرية جاهلية مصبوغة بصبغة اسلامية. فلم نعم الخلافة على اساس اسلامي وانما استخذت الاسلام وسيلة للدفاع عن نفسها وجعلت منه حارساً أميناً يدافع عنها. قال نوبيني: لا، هذا ليس صحيحاً، أنك تريد أن تنسب أفكارك وعقائدك الخاصة الى الاسلام، بتعبير آخر أنك لا تطرح الاسلام كما هو بل تطرح اسلاماً خيالياً يعجب المتفقين في وقتنا الراهن. انا اعتقد أن

عليك أن تتقيد بحقيقة الاسلام، فالاسلام هو الشيء الذي كان موجوداً لا الشيء الذي تمنى أن يكون موجوداً. ثمة فرق بين الاسلام الذي تنمّنا، أنت كمنقّب متأثر بالتفاقة الاشتراكية والعفاند الديمقراطية وبين الاسلام الذي جاء به النبي محمد (ص) في القرن السابع الميلادي وأمن به العرب وعملوا بأحكامه منذ ذلك الحين.

قلت: ان سمحت لي بإكمال حديثي لعرفت أن انتقادك الوارد هذا ليس وارداً عليّ.

قال: ماذا تعني؟ فإن كان الانتقاد وارداً كيف لا يكون وارداً عليك؟

قلت: انتقادك وارد لأن هذا الكلام هو كلام صحيح قائنا يجب أن لا ندس عواطفنا وأمزجتنا الغاضّة في الحقائق، الا أن هذا الانتقاد ليس وارداً عليّ لأنك لو استمعت الى كلامي لرأيت انني لم افعل ذلك.

قال: عذراً، انا استمع اليك.

قلت: انني عندما اطرح فكرة الحكومة الاسلامية اقصد بذلك حكومة النبي محمد (ص) وبعض خلفائه الاوائل الذي كانوا يعملون بسنته، في حين أنت تنظر الى خلفاء الامبراطورية العثمانية أو الى حكومة الخلفاء في اسبانيا وبنداد وسوريا أي الى الحكومات التي بنش منها المسلمون المنفقون أكثر من غيرهم.

في البداية، علينا أن نعرف ما هي الحكومة الدينية؟ الحكومة

الدينية هي الحكومة التي يحل فيها رجال الدين محل رجال السياسة، بتعبير آخر الحكومة الدينية هي حكومة رجال الدين على الشعب.

الاستبداد هو من المعالم الطبيعية التي تتسم بها هكذا حكومة. لأن رجل الدين سيشغل منصب خلافة الله وتنفيذ أوامره في الأرض. وفي هذه الحالة سوف لا يكون للناس حق لايماء الرأي والاستفتاء والاعتراض، فالزعيم الديني يطلي نفسه حق الزعامة والقيادة مرتكراً على فيعته واعتباره الديني لا على قيمة آراء الناس وانتخابهم. إذن هو حاكم غير مسؤول وهذا النوع من الاستبداد هو أسوأ أنواع الاستبداد والفكائورية الفردية. لأن الحاكم الديني يظن أنه خليفة الله وطلعه الممدود في الأرض فهو يسيطر على رفاة الناس واموالهم ونواميسهم ولا يتردد في أي نوع من الظلم والاسراف والاعتداء بل يعتقد ان هذه الاعمال مقرونة برضا الله تعالى عز وجل، والآن من ذلك انه يعتقد ان معارضي حكومته وانباغ الاديان الاخرى لا يستحقون حتى حق الحياة لأنهم هم الضالون الذين غضب الله عليهم وهم اعداء دين الله والحق وان الاعتداء على هؤلاء وسلب حقوقهم هو امر حاد بل هو العدل الالهي يمينه!

لقد حكم القساوسة في القرون الوسطى بلاد أوروبا باسم الحكومة الدينية وقد رسم فكتور هيجو تصويراً دقيقاً يجسد فيه مساوي هذا النوع من الحكم.

أما الاسلام فلا يمكن اناؤه هذا الأمر فيه لأن المجتمع الاسلامي لا يوجد فيه رجل دين بالمعنى الذي نراه في الأديان الأخرى. فلا توجد قنة خاصة باسم (روحانية) «الكلمة التي تعادل كلمة Clerge» باللغة الانجليزية. الدين في الاسلام ليس مهنة والارتباط بين الفرد وربه في هذا الدين هو ارتباط مباشر وان تحصيل علوم الدين في الاسلام لا يختص بشفة خاصة بل فرض هذا الدين طلب العلم على كل مسلم ومسلمة ولم يسمح لأحد بالتقليد في أصول دينه كما فرض التبليغ الديني والدعوة الى المبادئ الأخلاقية على جميع الشعوب المسلمة ولم يخضع جماعة بهذه الدعوة الكريمة. فلا يوجد في الاسلام رجل دين رسمي او مبلغ رسمي او مفتي رسمي او مندوب ديني رسمي. فالجميع جنود مبلعون يربطون بالخلق والخلق بهم في الوقت ذاته مفكرون مستقلون مسؤولون عن أعمالهم وعقائدهم وهذا هو البعد الفردي الليبرالي في الاسلام الذي تدعي أمريكا دجلاً أنه ينسب اليها وهو اساس الديمقراطية الانسانية التي تضمن حرية الفرد وتحافظ على حقوقه حيال المجتمع وعلى قدرته ومركزيته^(١).

(١) صحيح ان هناك جماعة خاصة باسم «علماء الدين» ثلثورت بسبب تعقيد المسائل واتساع روضة المجتمع الاسلامي الا ان هذه الجماعة هي جماعة من رجال الدين العاديين وليست جماعة رسمية. فهي جماعة قابلة للاستفتاء والاعتراض وليست جماعة مقدسة غير مسؤولة ومعصومة مضاة من الخطأ.

وداعاً...
يا مدينة الشهادة

قبران في طوس: خير الناس كلهم وليس شئزهم، هذا من الجيز
ما يرفع الوجس من غرب الزكوى وما على الزكوى بقرى الوجس من ضرور
هيهات كل امرئ وهن بعدا كسبت له جنواه فسخط ما مسلت أو قدر
لا اضحك الله سن الدهر إن ضحكك رأى احمد متلومون قد قهروا
مشردون ملوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يفتقر

ما أبلغ مزار سلطان أرض طوس وما أفصح قبة الذهبية التي
تعلو سطح الحرم، الحرم الذي يرفد فيه الخليفة والامام، الجلاء
والشهيد.

ماذا أقول؟

يرقد هارون في وسطه والامام في إحدى زواياه لأنهم دفنوا
الامام الى جانب الخليفة تكريماً له.

كان مدفن الامام في البداية داراً لحفيد بن قحطبة وكان صحن
حرم الامام بسنناً تابعاً لتلك الدار وهو البستان الذي سُمي الامام بعبد
يا للعجب كم يستطيع المعمار أن يكون معلماً ومفهماً!

العالم بنحدرت اليوم عن «فلسفة الممران» ولكن في اي مكان من الارض يستطيع الممران ان يكون فيلسوفاً عميقاً كهذا!!

بنحدرت العالم اليوم عن «فلسفة التاريخ» ولكن في اي زمن استطاعت «فلسفة التاريخ» ان تتجسم في شكل بنا، كهذا البناء، ا أربعة عشر قرناً مضت وهم بنحدرتون عن «اسلام التاريخ» و«تاريخ الاسلام» ويدرسون الحقيقة والايمان والتحرير والتفاني والحق والنصب والخلافة والامامة والظاهر والباطن والكفر والايمان والاسلام الحاكم والاسلام المحكوم....

ولكن أي محقق ومبلغ وكاتب ومؤرخ ومنكلم ومفسر وفقه ومحدث.. استطاع ان يجسد الحقيقة كما جسدها هذا البناء؟

من منهم استطاع خلال هذه القرون الأربعة عشر ان يجمع كل هذا، الرموز والاسرار والمفاهيم والمواظف والاجتهادات والبحر والجدل الديني والصراع السياسي والمذاهب الفكرية والتضاد الطبيعي والعلاقات الاجتماعية والصراعات التاريخية... كل شيء في بناء واحد وقبة واحد؟ يكلمات منقوشة على الحجر وعبارات مرسومة على القنطرة والذهب والرخام وعبارات مكتوبة على «الايواب والبدر» وتقرض في «اليوت النابعة» وفي فوائم الانظمة والمنظومات...

تأملوا في اسم «البيوت النابعة» للحر:

دار الحفاظ، دار السيادة، دار الضيافة، دار المزة، دار السعادة... وفي النظام الاداري:

الخفر الأول، الخفر الثاني، الخفر الثالث، الخفر الرابع، الخفر الخامس، الخادم الرسمي، الخادم الفخري، البوابة، الادارة، دائرة المراسيم، دائرة الاعلام، دائرة البعثات، دائرة الاملاك، دائرة الاراضي والموقوفات والاجارات والتذوق....

وأيضا قائمة أسماء أولئك الذين خلّدوا اسمائهم في الكتب أو في النقوش الحجرية بواسطة ايجاد بنا، أو تجديد بنا، أو تذهيب ايوان أو منارة تكريماً لهذا المزار المقدس: السلطان محمود الفزنوي^(١)، السلطان سنجر السلجوقي، شاه رخ الملك المغولي، جهر شاه الملكة المغولية، بابنغر الامير المغولي، السلطان ابراهيم، السلطان باير شاه، الشاه عباس الصفوي، نادر شاه....

وهناك قائمة طويلة بأسماء الأعيان والانسراف والأسماء الابرائين والأزراك والتتر والمغول مذكورة في الكتب وفي عقود الوقف.

وكل هذا يدل على ان «صانعي حوادث التاريخ» قد لجأوا الى

(١) ظهر الفزنويون في أواخر الدولة العباسية وبرزوا في خراسان وانحدوا من مدينة (غزنو) عاصمة لهم، ومن أشهر سلاطينهم السلطان محمود الفزنوي.

هذا المكان المقدس في مساويء حوادث الدهر. فقد كان ملوك الزمان وجبايرة الاوض ينساقون لتقيل هذا التراب والخضوع امام هذه العظمة وكان هذا الضريع مبعداً لرجال ثلوث السلطة في التاريخ. الامراء والملوكه الاقطاعيون ووجال الدين الذين طالما استبدوا الناس سياسياً واقتصادياً وعقائدياً بتروجهون وكانهم وعابا الى مزاول السلطان علي بن موسى الرضا مجرّين بذلك عن انساب سلطانهم وقدوتهم ونفوذهم السياسي والمادي والمعنوي الى هذا المزاول السماوي المقدس الذي منحهم هذه السكّانة واعطاهم هذا المنصب في الأوض. فإنّ شمس حياة الناس (هؤلاء) ليسوا إلا اُمّالاً صغيرة تدور حول «شمس الشمس»، سلطان أرض طوس.

ولذا ترى السلطان عباس الكبير يخلع عليه ويملئها على رقبته ويعشي على قدميه الحاقبتين من أصنهان - عاصمة الدنيا - الى مشهد «الرضا» ايماناً و ارادةً و إخلاصاً و غم جلاله وجيرونه وقدوته وسلطانة ورغم وجود صالة تختص بالموسيقى والتراب في قصره «عالي قابو» ووعلم انه كان يقتل الذكور في عائلته لبني نفسه خطر ظهور من ينافس على السلطان.

وفي حرم الامام نرى هذا السلطان يفضّ وؤوس الشموع كالخدم فينشد العلامة الشيخ الهائي الذي كان أكثر رجال الدين قدسيّة في زمانه هذا البيت البديع في حضوة.

«قبحي ثوبه احتياط ذن اي خادم - نرسم بيزي شهيد جوييل امين»
ومعناه:

«ايها الخادم خذ حذوك في استخدام المصنّ. فأتّي اخنسي ان نقص به جناح جبرئيل الامين»

وترى الملك الشهيد ناصر الدين بنسند هذا البيت وهو يتبلّ نرى قدم الامام:

«در كشتن حريم هوو موسى - موصاي كلم يا عصا من يديهم
«في مترع أحذية حرم ابن موسى ارى موسى الكلم متكتاً على الصا».

لقد كان هذا المزاول ملجأ للشاودين وملأداً للهاويين وماؤى آناً لمن كان يفرّ بنفسه من سيف الظفأ والجلادين.

وهكذا أصبحت «مشهد» مدينة كبيرة. فبعد هجوم جنكيزخان وبعد أن أراق ابنه «تولي» دماء اهالي مدينة طوس. لجأ من استطاع الهروب بنفسه الى ضريح الامام وسرعان ما تحوّل هذا المزار الصغير الواقع في ضاحية مدينة طوس الى مدينة كبيرة وامست طوس مدينة خربة مهجورة تنبع في ضاحية هذه المدينة.

بعدها حاول خلفاء جنكيز اوجاع الناس الى مدينتهم ولكن لم يرجع احد فقد آثروا ان يبقوا الى جوار امامهم غريباً كيما يهيم القريب

وبتركوا ديارهم الى الأبد.

وهكذا استت هذه المدينة!

وما زالت هذه المدينة على هذه «السفة» التي كانت عليها من قبل.

إن هنا لك شيئاً خفياً في هذه المدينة يخاطب القلوب ويحكي عن عظمة هذه «الروح» فهي تضم الى صدورنا الفزلان الجريحة الهاربة من مطاردة الصيادين في صحراء الهيب والهول هذه. الصحراء التي لا يعيش فيها سوى الذئاب والنعالب والفئران ولا تسكن فيها إلا النعاج لأنها ذلولة سمحة القياد.

أما الفزلان فهي طليئة نجوب كل مكان ولا ملجأ لها قسي هذه الصحراء القاحلة لأنها لا تمتلك أبواب الذئاب ولا وقايا تطبيق القيود. فهي هاربة دائماً من فرخ هذه الصحراء الجرداء.

الصحراء هي النار يخ بعينه قد نجسد في قالب جغرافي، فهي عظمة مرموزة صامتة فائقة مسلمة فاحلة، لا ماء فيها ولا زرع ولا جبل شاهق مفروو ولا نهر جارري مسرور ولا اغنية نبع عاشق ولا بستان ولا سحابة زهرة ولا منظر ولا طريق ولا سفر ولا منزل ولا مقصد ولا حركة نهر ولا فاع بحر ولا صرخة رعد ولا لمعة برق.

إنها مكان هاديء محروقي حزين قانط. فهي مسكن للغيلان والجن والاوراح الخبيثة والذئاب وملجأ للوسواس الخناس والفاسق

الوافب والتفات الساحر والحاسد الخائن! - أنها موطن الغيال والاسطووة. فهي سراج لاماء فيها ولا شجرة يسودها السكون، لا بسبب الهدوء والسكينة بل من شدة الخوف.

لهيب هوائها القاسي يغلي المنع قي الدماغ وحراوة رمالها تفرغ الثبات عن الإبتات. والناس فيها وجوه منبوذة ونواصي مجفدة وعظام منهزئة بكسوها الجلد.

النمق في الصحراء امر صعب ولهذا يضع الناس الايدي على العين لكي لا ترى الصحراء أنهم يرون ولا تعرف انهم يعرفون.

وبين الحين والآخر نهب في الصحراء عاصفة فتغلب كل شيء ونعجب السماء عن الارض الا انها نهذاً بعد قليل ليبدو وجه الصحراء من جديد وكأنه لم يطرأ عليه اي تغير. فالصحراء تنصقه ونهذاً ولكن دونما اي تغير فهي كالبخرة غير انها ليست بحراً من الماء والمطر واللؤلؤ والسمك والعرجان بل من الزراب والرمال والشيوا والافاعي والورع والبرابيع...

أغلب الكائنات التي تعيش فيها هي من الزواحف، غير أنك تجد بين الحين والآخر طيوراً خائفة لا موطن لها ولا ملاذ تذكر بقصه يبقاه طاغور ولكن ليس في الهند بل في ارمينيا.

أما نبات الصحراء فهو «الخنثار والهيوا». هذه الانشاجا التي تتسم بالشفاعة والصبر تتحدى الصحراء فتخرج نسطها من صدر

ومالها المنهية مستغنية عن الماء والمدح والثناء ثم نسوي على سوفيها ونظهر بمظهر الأكلية في هذه الصحراء شجاعة وغرور ووحدة وغربة، كأنها سفيرة العالم الآخر في قلب الصحراء!

هذه الأشجار الشجاعة التي تنبت في قلب جهنم ليس لها ورق ولا ثمر لأن شوق الأزهار والأنمار قد وند في سيقانها وأغصانها. وأما مصير هذه الأشجار: فألها نجت من جذورها بجريمة التجاسر على الصحراء فتوضع في التور وتحرق ليخزيها الرقيب، هذا هو مصيرها المحتوم.

واليوم...

جاء غزال خائف إلى مزار حامي الغزلان.
لبيأ إلى حمى أمته وإيمانه.
لأنه سمع أن عبثاً نبعت من الغيب في هذا المكان.
وأن يستأن غطى التراب بقطاته الزمردني.
إلا أن تلك العين لم ينبع منها إلا «المكر»
والسنان لم يره فيه إلا الورد الأسود والعنب المسموم والزمان
القاتل.

فأصبحت فضة هذا الغزال^(١) تذكر بمصير قومه.

الذين خلصوا وفاتهم قبل مئات السنين.

(١) المنصود بالغزال هنا هو الشاعر الفردوسي صاحب الشاهنامه.

من «فيود عدل أنوشيروان»^(١).
ولجأوا إلى المدينة بحثاً عن «عدل بلا فيود»
إلا أن المطاف آل بهم إلى بنداد.
ليجدوا أنفسهم قيوداً ب«عدل الفيود»
وحلوا ليحترا عن النبي.
غير أنهم وجدوا خليفة الغاصب.
واليوم...
لجأ إلى الامام رجل وحيد.
من أحفاد هؤلاء القوم الخائبيين.
إلا أنه وجد في حرمه الطاهر نائيه الغاصب.
ماذا أقول؟
وجد جلاداً يرقد في حرمه.
يا لها من دائرة مخبئة!
أن أقرب الناس إليه.
هو أشد الناس عداءً له.
وان الأقرب مداراً إلى محور الصدق وشمس النيب
هو الأكثر كذباً وأشد مكرًا.

(١) وهو الملك الفارسي عادل. (المنترجم).

وهذا المهاجر الوحيد الغزال الطليق
هو من أحفاد أولئك المهاجرين الثمانين: تلك الغزلان البربرية
الخائفة .

التي وحلت إلى مهبط الوحي
ملبية نداء النبوة .

هرباً من الثالث المشؤوم: «كسرى - دهقان - مويده»^(١)
بحثاً عن الثالث الالهي المقدس: «الحزبية المساواة الوحي» .
إلا أنهم أصبحوا ضحية لتالوث آخر أكثر شؤماً: تالوث «الخليفة
- الشيخ - الغيبة» . لقد ترك هذا المهاجر الوحيد فطبع تعاج الصحراء
الجبائنة هرباً من تالوث «الذهب - التعلب - القار» .

ملية نداء الوصي .

يجسم يكاد أن يكون نيلجي اللون من شدة ضرب السياط .

وشفاء تذهب من شدة العطش .

وأقدام مجذرة من طول الطريق .

وقلب مغمم بالشوق والعشق .

لجأ إلى حرم الامام :

ولكن ...

وامصبيناه !

(١) دهقان: الملاك والاضاعي الكبير. مويده: رجل الدين المجوسي.

أنه حرم «هارون» !

والامام يرفد إلى جانبته !

إلى جانب هارون !

أبني هذا أن الامامة هي في هامن الخلافة ؟

أبني هذا أن الايمان هو في خدمة الجور ؟

أبني هذا أن لباس النوى هو غطاء يغطي هياكل الزور ؟

أبني هذا نسئ نالوث «الشسب - الذهب - السبعة» بسناو

الدين ؟

أبني هذا اتنا نظوف حول هارون باسم الامام ؟

أبني ..

هناك الخلافة والرسول وهنا الفتاية والامام ؟

أبني اختفاء رجس هارون في ضريح العصمة الطاهر ؟

أبني تطهير السلطة من جديد ؟

ونفد بس الذهب .

ونبرير الزور والنزوير ؟

أبني دعوة الخلق إلى زيارة الخليفة باسم الدين ؟

لست أدري ...

غير أنني أعلم أن هذه الشجيرة الصغيرة .

سليقة شجيرات الخشخاش والشمر تلك .

ما ان أووفت وأزهرت حتى حلّ الشتاء .
فاجتثها من الجذور .
نجا والغشب وصنّاع الفحم وموفدو الثيران وخياّو الرغيف لعد
امسكوا بتلك الفزاة الهاربة .
في حمى حاميها .
وسلموها الى الصياد .
ففى هذا العصر هجمت الخلافة مرة أخرى .
وأغار سعد بن أبي وقاص آخر في فادسية أخرى .
ووحف وجوش العرب من جهة الغرب هذه المرة .
فنهبوا «مدائن» نا .
ودفروا لغتنا وابماتنا وتافنتا وتاويختنا .
وجاؤوا بالعبودية والجهل بسنا والمدينة والملم .
وهدموا الأسوار والبروج واسفطوا الجدد والسفوف .
واطفأوا نيران المعابد .
و...

هز نورك دزبانان واز سازيان
نه ترك وشه ابريان نه شازى بود
فريان كسان ان هس مسود خویش
مچویند وچین آرشد به پیشه^(١)

(١) من الايرانيين والترك والعرب طهر عرق وجیل جدید

وفي غضون ذلك :
نهض ابن الفلاح القروي الخراساني
برأس مال عمره
وفدوة عشقه
بدون مستند وملاذ
أهملّ الحياة ليجمع ويدون ويذكر الناس يكمل فخر وعشيق
وايمان وفن وحضارة وطولعة... فداجتثها خلفاء العرب وسلاطين
الترك وباعة الوطن من آل برمك ونوبخت وظاهر وسامان وصغار و...
والعلماء من قبيل المتقّع وافشين و...
فكدح خمساً وثلاثين سنة بدون توقّع اجرة لبشند «مذكّرة»
الايمان المنسوبة لهذا القوم. غير ان اولئك الذين لم يطيقوا استماع اسم
القطمء ولم يرغبوا في احباء المورنى وابصاوا الحمى تأمروا عليه
فشرّذوه من دياره وكثّروه وحزّضوا الرعاع على ايمائه بدعوى انه
وجل واقضي معتزلي. فاستدلوا بهذا البيت على اعتزاله:
دبه بسیندگان آفسوینده را شیبی سرنجان در سجنده راه^(١)
واستدلوا بهذه الأبيات على انه واقضي المعقبة:

ليس ايرانيّاً ولا تركياً ولا عربيّاً بناني كلامه عمله
اشروا الناس طلباً لمنافعهم وجعلوا الدين ستاراً
هذه الأبيات هي للفردوسي شاعر الحماسة الايرانى
(١) لن ترى الخالق بالعين فلا تؤذي حيوتك ا

«عزمتك كبتى چو دريا نهاد
بدرانگيخته موج از او نهد باد
چو هفتاد كشتى در او ساختند
همه پادشاهان بر انراخته
مياينه يكى خوب كشتى عروس
بر آراسته همچو چشم خروس
پسچم بدو اندرون پا على
همه اهل بيت نسي و وصي
اگر خلد خواهد به ديگر سراى
به نزه نبي و وصي كير جاى
گرت زين بد آينه گناه من است
چنين دان واين راه واء من است
بر اين راهم وهم بر اين بگذرم
بقين دان كه خاك هي حيدرم
ومعناها:

«عندما خلق خالق الكون البحر، وتلاطمت فيه الامواج عند
هبوب الرياح

صنع فيه سبعين سفينة، ورفع عليها الاشرعة
وكانت بين هذه السفن سفينة جميلة، كالعروس ومزينة كعين
الديك

اجلس الله فيها النبي وعليه، وجميع اهل بيت النبي والوصي
فان اردت الخلد في الدار الاخرى خذ مكاناً بفرب النبي
والوصي

فان اصابك سوء من هذا فانما المسؤول. كن مؤمناً بهذا فانني
مؤمن به

اني ولدت على هذا وسوف اموت عليه. كن واثقاً من انني نواب

قدم حيدر»

...حزن كثيراً وعندما عرف بنة السلطان محمود، خرج من مدينة
غزنين في سواد الليل... ظلّ هارباً... لمدة سنة اشهر... قبل له: انت
وجل شيعي وكلّ من يتمسك بال النبي سيكون مصير...

جعلوا اجرة عمله الذي استغرق خمس وثلاثين سنة على يمين
وأرسلوه الى طوس... وبينما كان اليمير يدخل من بوابة (رودبار) في
مدينة طوس كان الناس يخرجون جنازته من بوابة «رزان»

وكان هنالك واعظ في محلة طبران طوس وهو فقيه المدينة
الكبير اسمه الشيخ ابو القاسم الكركاني اصّر بنعشب وقال: سوف لن
اسمح بدفن هذه الجنازة في مقبرة المسلمين لانه رجل رافضي. نوّسل
الناس اليه ولكن دون جدوى فاضطروا ان يدفنه في بستان قريب من
هذه البوابة كان من املاكه...».

يقال انه خلف بنتاً في غابة الكرم. أرادوا ان يسلموا اليها صلة
السلطان ولكنها اتت عن ذلك وقالت: «انا لست بحاجة اليها» فكسب
صاحب البريد الى السلطان فأمر بإخراج ذلك الفقيه من مدينة طوس». فاعبروا با اولي الأنصار

اولا البنا وما ركس...

كان لكل من البابا وماركس دور رئيسي في تدوين فلسفة التاريخ على النحو الذي نراه اليوم أو في بلورة نهضة جديدة نطالب بالمعادلة الاجتماعية وترفض النظام الطبقي الاستغلالي كما كان لهما الأثر الكبير في بلورة نزعة اجتماعية وخلق رأي عام يدعو إلى تسييد النظام الاشتراكي ونيل النظام الرأسمالي في عصرنا الراهن. ففي أوروبا كان البابا الذي يعد رمزاً للسلطة الدينية ووارثاً لتاريخ الأديان يعمل على تحويل الدين إلى نظام فكري رجعي تابع للطبقات الحاكمة وكان الدور الطبيعي الذي يلعبه الدين هو تبرير الوضع الموجود وامتصاص نفمة الشعوب المحرومة وتسكين غضبها بالوعد والوعيد وهكذا كان الوضع بالنسبة للطبقات الانسانية الأخرى كالفلسفة والمثقف والفن والأدب والعلوم.

وبعد عصر النهضة حيث تحرر العقل والعلم من قيود الكنائس وتخلصت شعوب أوروبا من سطوة حكم البابا ونالت استقلالها الحقيقي، أخذت هذه الشعوب تتطور بسرعة مذهلة، وسرعان ما جعلت الأمم القوية محل المقاطعات الصغيرة واحتلت الاكتشافات والاختراعات مكان تقليد القدماء والعيش على فضلات موائدهم. بيد أن المسطق

العلمي والروح التحررية الجديدة والرؤية العلمانية الحديثة اتخذت ويشكل عنوي موقفاً سلبياً تجاه القوى الدينية الرسمية التي تصدّت بدورها لهذا التيار الجاوف. وقد ساهمت البرجوازية التي تتنافى مع وروح الخير والجمال المعنوي والقيم الاخلاقية المتعالية في تقوية هذا التيار المناهض للدين. خصوصاً أن معظم ممثلي هذه النهضة الفكرية كانوا من افراد الطبقات الاجتماعية المتوسطة أي الطبقة البرجوازية الحديثة التي كانت تتأوى الدين ناوة من ناحية الروح الطيفية وأخرى من ناحية كونها تحاول اكتساح النظام الاقطاعي والنضاء عليه. ذلك أن الدين الرسمي كان يشكل البنية التوفيقية الفكرية والتنافية لهذا النظام البائد.

وفي ظل هذه التحولات ظهرت الساكنة لتتحول الرأسمالية التجارية الى رأسمالية صناعية وتؤدي إلى التركز في الرأسمال من جهة والتركز في اليد العاملة من جهة أخرى. الأمر الذي أدى بدوره الى اتساع الهوة الطيفية أكثر من ذي قبل لأنّ فدوات انتاج الماكينة التي كانت في خدمة اصحاب رؤوس الاموال أدّت الى ازدياد حجم رؤوس الاموال في ايديهم واستئثار اليد العاملة بشكل يشع للفاقة الأمر الذي أدى بدوره الى اتساع الهوة الطيفية وتنامي معدل الاستئثار الطبقي عدة أضعاف وكان هذا هو السبب في بروز الصراع الطبقي الحديث ونعينة الرأي الحر ضد الاستئثار والماكينة والرأسمال من اجل انقاذ الطبقة

العاملة التي كانت تقف يوماً بعد يوم استقلالها وحريتها بل وطابعها الانساني وتظهر بمظهر الآلة المرتبطة بالماكينة العملاقة.

فلم تكن هذه الطبقة تملك أي شيء حتى أنها لم تكن تستمتع بالحياة التي كان يتمتع بها الفلاح القديم بل كانت تحصل لنساء عملها على اجرة لا تتجاوز القوة التي أخذتها منها الماكينة لكي تستطيع ان تستمر في عملها يوماً آخر كالفقر الذي يبيع دمه ازاء بطاقة نموبنية نسدّ جوعه وتصنع له من الدّم ما يقدو أن يبيعه في اليوم التالي لبيعي جيش هذه الدوامة الرتيبة التي نسقّى «الحياة».

وفي هذه الأثناء ظهر ماركس الفيلسوف الهيجلي الملحد الذي عاش بعد مرحلة النهضة في اوروبا.

ماركس كان ينتمي الى طبقة برجوازية متوسطة وكان في الوقت ذاته ضحية التمييز العنصري والتعسف الديني بسبب انتمائه الى اسرة يهودية. وقد تزامن ظهور ماركس مع الحركات العمالية واسعة النطاق التي اجتاحت دول اوروبا وخصوصاً ألمانيا وفرنسا وانجلترا ممهدة بذلك الظروف اللازمة لظهور المذاهب الانشراكية والنسوية والحركات الثفافية، وبالذات في فرنسا. عملت هذه المذاهب على تحذير الانسان من غية الانصهار في النظام البرجوازي السائد ووقايته من المسخ والانتفاء لسلطة الماكينة ومناهضة ظاهرة التفرط «بالعمل» الذي يمدّ الجوهر الحقيقي للانسان ومقاومة التوجه الاستغلالي الذي

كانت الماكنة تزيد في وحنينه يوماً بعد يوم والقضاء على الرأسمالية الفردية الداعية يشكل جنوئي إلى الحرص والطمع والجشع.

وأيضاً القضاء على التضاد الطبقي الذي صنف المجتمع الانساني إلى فئات متخاصمة والعمل على إنفاذ الطبقات الاجتماعية المحرومة خصوصاً عمال المصانع من أغلال الماكنة وهيمنة رؤوس الاموال وابتعاد مجتمع خالٍ من التضاد الطبقي والاستغلال والجشع واعطاء الأصالة «للعمل» لا «لرؤوس الأموال».

لقد دون ماركس في ظل هذه الظروف التاريخية والاجتماعية الحساسة الاسس الأبدية لولوجية لتهضة انسانية ثورية مناوئة للنظام الطبقي الاستعماري معلناً أن انتصار هذه النهضة هو أمر حتمي وجبري زعماً منه بأن ذلك هو نتيجة حتمية للفوانين الاجتماعية والعوامل المادية الخارجة عن ارادة الناس ومشيئتهم. ومن ثم عمداً إلى قراءة التاريخ لكي يوحى بأن هذه القوانين هي فوانين علمية بحتة وأن هذه الحركة هي المرحلة النهائية لسلسلة التحولات الجبرية التاريخية مستنداً إلى قانون الجبر المادي للتأويل. وقام بتدوين فلسفة التاريخ مرتكزاً على هذا الاساس.

وامعائاً في اعطاء الأصالة والأهمية للنزاع الطبقي الذي كان نطاقه يتسع بسبب ظهور الماكنة والرأسمالية الصناعية اوجع ماركس أسباب جميع الحروب البشرية التي حدثت عبر التاريخ إلى العوامل

الاقتصادية ونظر إلى الحضارات والحركات الاجتماعية والمدارس الفكرية الانسانية وقصة الانسان من الزاوية التي كان ينظر منها هو في عصر الماكنة والرأسمالية واصالة الانتاج والاقتصاد (أي القرن التاسع عشر في اوروبا الغربية). اثماً بالنسبة إلى الذين فقدوا ماركس يرى في وجه المسيح نفس الملامح التي كان يراها في وجه البابا وهنا يكمن خطأ: فالبابا كان أشبه بفيصر الروم منه لي عيسى المسيح، العبيد الفلسطيني الحافي الذي كان تاج رأسه أكليلاً من الشوك وهو الغائل: «لن يدخل خزان الأموال الجنة حتى يلجح حبل المرساة في سم الخياط».

ليس المقصود من البابا هو البابا في القرن التاسع عشر ولا حتى جهاز الكنيسة الكاثوليكية بل المقصود الطبقة الرسمية لرجال الدين الذين كانوا يتحكمون بمقائد الناس على طول التاريخ وفي مختلف المجتمعات ويستخدمونها في تحكيم اسس نظامهم الظالم الذي يعمل من الاكثريّة ضحية له «الاقليّة الحاكمة». وهذا هو السبب الذي دفع بماركس إلى اعتناق المادية كأساس فكري للنظام الاشتراكي متوسلاً بذلك نفي الدين الذي يشكل الاساس الفكري لهيمنة (النبلاء) وحكومة الاستبداد والتجبر. وليجنث بذلك جذور العبادة التي نرتكز عليها جميع الأديان.

إذا أراد الانسان ان يفكر بحرية ويشاهد الاشياء بوضوح

وبصيرة. فعليه أن يماوس بنفسه الكشف والتحليل والتعقيق ويجتهد حتى يتوصل إلى حقائق الأمور ويحذو النقليد ويعتني بامتداد قناعات الآخرين، وعليه أن لا يتأثر بشخصية الأبطال والعظماء والقادة؛ لأن الحق هو المعيار في تقييم الرجال وليس العكس، يقول أمير المؤمنين (ع): «أعرف الحق نعرف أهله».

أذن علينا نحن المثقفين المتنبئين إلى مجتمع آخر وناويع آخر ووضع آخر ودين آخر وؤمن آخر أن نحذو السفوط إلى مستوى المؤمن العاظمي المقلد الذي يعمل برسالة مرجعه الديني العملية ويستغني في كل الأحوال. بيد أن هذا السفوط يبدو اليوم في عيون الكثير من أبنائ «الموضة الفكرية» نوعاً من التجدد والتقدم.

إن قيمة أفكار ماوكس - إن كانت هنالك قيمة في أفكاره - تكمن في سعيه إلى معرفة الحركة التي كان يتسبب إليها والهدف المقدس الذي كان يؤمن به وتحليلهما تحليلاً علمياً واعطاءهما وجهة فكرية خاصة. فقد عمد ماوكس إلى كتابة التاريخ لصالح هذه الحركة وقام بتجهيزها بالفلسفة والمنطق وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم الإنسان ومنع الطبيعة المعاملة التي كان يشر بالمسؤولية تجاهها وعياً طبقياً وسلاحاً أيديولوجياً يمكنها من البقاء والاستمرار في طريقها.

أذن، فالنقل العلمي والفكري لا يقتضي منا أن نكسر أعمال ماوكس بطريقة عمياء، ونأخذ بما أملاه علينا عيون معصية، لأن هذا

النوع من التقليد يشبه كثيراً تقليد المريض الأمي للطبيب المستخصم ويختلف تماماً عن تقليد الإنسان السليم الذي يسعى أن يكون طبيياً كالطبيب الذي يعالجه وغثان ما بين هذين النوعين من التقليد. فقد كان ماوكس يرى الدين في وجه الألبا ومعيناً، ويعتقد أن دور الدين في المجتمع ليس بأكثر من الدور الذي لعبته الكنائس في القرون الوسطى. والسؤال في ذلك أنه لم يكن يرى سوى الأدبان الحاكمة على التايوخ فقد كان يرى دين موسى في حكم «الحاخامات والاحياء» ورسالة عيسى في نظام الكنائس وإسلام محمد في سياسة الخلفاء والنسب العلوي من خلال الحكم الصفوي.

فإن أردنا أن نقلد ماوكس في رؤيته هذه لن نكون اشتراكيين ولا مفكرين أصحاب حق بل ستكون مقلدين أذلاء أغلقوا عيونهم وآذانهم وخسروا أنفسهم وفقدوا الثقة بها وشلب منهم حق الرأي والاستقلال والقدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، بل ستكون قد انكسرنا المسلمات ومسخت الحقائق ووفضنا الإيمان بكل شيء حتى بأعيننا وآذاننا وإدراكنا وفهمنا.

إن معرفتنا بالتايوخ والدين هي أوسع وأعمق بكثير مما كان يعرفه المفكر المادي في القرن التاسع عشر. فقد كان المفكر المادي آنذاك يرى الدين من منطلق كونه وليداً للجهل والخوف والنظام القهري أو النظام المادي والفكري الحاكم على المجتمع بينما تستطيع نحن اليوم

ان تفصل بين نظرتنا الى الدين كقابلية انسانية وبعد انساني خاص وبين نظرتنا اليه بصورته العينية المستعفة في ظل النظام الاقتصادي - الاجتماعي ومرحلته التاريخية الخاصة.

ان الدين هو شعور ينبثق عن وعي الانسان ومعرفة بنفسه ويدعو الانسان الى الكمال عن طريق تقديم القيم السامية من قِيَل: الجمال والخير والبصيرة واللفظ والابداع والارادة والحرية والمعرفة والكمال والهداية والمزء والمدالة والحق ومناهضة الظلم والجهل والضعف والذل... ونجتمع كل هذه القيم في إطار التوحيد الذي يمد أكثر الأقطر الدينية شمولاً في معبود واحد وهو الله تعالى عز وجل

اما اذا استغل الدين من قبل السلطات الحاكمة لحفظ مصالحها فستحصل أسوأ فاجعة يسهق فيها الانسان في الانظمة السعادية للانسانية ويصبح الدين نهيداً في سبيلات التاريخ.

ان رسالة المعكّر الحر تتجلى في العمل على اتخاذ هذه الضحية واحياء نهيد التاريخ هذا لا نفيه وتكذيبه وتلوينه فإن لم يضم المعكّر الحر بذلك فانه يكون شريكاً لأعداء البشرية من الجلادين والسحرة والكهنة والقراعة الذين اغتالوا الدين وأردوه فتيلاً لخدمة لمصالحهم الطبيعية الضيقة.

نعمه لقد لعبت الاديان الرسمية دائماً دوراً طيفياً فذراً ضد الناس والانسانية ولصالح الطبقات الحاكمة، ولكن ألم يكن للفلسفة والعلم

والفن والأدب والصناعة نفس هذا الدور عبر التاريخ؟
اذن ماذا على الفكر المسؤول ان يفعل؟ هل عليه ان يعبر هذه القيم من الاستثمار الطبيعي ام عليه ان ينقيها من الاساس ويقتب بوجهها بشكل مطلق؟

لقد كان العلم والفن والصناعة والصمران في خدمة اصحاب القصور ولم يكن للطبقات المحرومة اي نصيب من العلوم والفنون. ولكن ألا يدعو الى السخرية ان نقرر اليوم الوقوف بوجه العلوم والفنون كونها كانت تخدم الطبقات الحاكمة فقط؟

ان علماء الاجتماع يعتقدون اليوم اكثر من المسلمين أنفسهم بأن الاسلام هو دين اجتماعي واقعي يؤمن بالطبيعة والاقتصاد والاجتماع بل هو دين سياسي بحت. فقد عدّ القرآن الكريم «الفاصلين بالفسط» في عداد «الانبياء» و«حزب الله الفالين» و«عد المستضعفين الذين سحقهم الانظمة اللا انسانية بإمامة الناس ووراثه الأرض مشيراً الى ان هذا الأمر سيتحقق لا محالة وانه امر جبري ومحتوم» وقد كان النبي (ص) يؤكد على الحياة المادية بصفتها مقدمة جبرية للحياة المعنوية ويعلم رسمياً أن:

«من لا معاش له لا معاد له» وقد وقف (ص) حياته في سبيل تنظيم نظام النرف الفكري والاجتماعي والاخلاقي والاقتصادي فكيف يمكن مقارنة هذا الدين مع الدين الصوفي الذي يعتقد بأن قوت

الإنسان وفلاحه لا ينفع إلا بالزهد والمباينة والرياضة والانسواء واعتزال المجتمع والمصير الاجتماعي بل حتى نسيان المجتمع والعالم! وكيف يمكن الحكم على هذين الشبهين المتناقضين والقطبين المتضادين بحكم واحد؟

فهل يمكن أن يكون هنالك مفكر عاش المجتمع الإسلامي وحصل على حد أدنى من المعرفة عن الإسلام ولم يستطع التمييز بين الإسلام (الدين الحاكم في التاريخ) والإسلام (الدين المحكومة والضحية والشهيد) وهل يصح له أن يصدق بأن الخلافة الأموية والعباسية والحكومات الوارثة لها هي استمرار حقيقي لرسالة نبي الإسلام (ص)؟

إن هذا الاعتقاد هو بدرجة من السذاجة بحيث أننا لا نجد إلا بين العوام الذين كانوا ضحية لأجهزة اعلام الجباية ومن المستحيل أن نراه بين المفكرين الواعين الذين يعرفون تاريخهم حق المعرفة.

إن الفكر والأيديولوجيا يختلف تماماً عن الطب والتكنولوجيا ولا يمكن اقتياسه من نتائج الآخريين ومن مخطوطات علماء أوربا. الفكر هو الوعي وامتلاك عينين بصيرتين قادرين على رؤية الحقائق. والخطوة الأولى لكي يصبح الإنسان مفكراً هو التعرف الدقيق والحقيقي على التاريخ والثقافة الذاتية.

فهل يصح لأي مفكر معتدل أن لا يرى الإسلام في حياة محمد

ورسالته ومسؤوليته وبنخذه أعمال وممارسات أجهزة الخلافة مسجراً في حكمه على الإسلام؟ وهل يصح له أن لا يرى علياً (ع) الذي لم يسن أي إنسان نوري في العالم مثل حياته ولم يقاتل أي إنسان مثل قتاله ولم يحكم أي إنسان مثل حكمه، وينخذ وعاط السلاطين معاً وير في نفسه وحكمه؟ وهل يسوغ له أن لا يعرف أباً الذي راح ضحية للصراع مع الرأسمالية والطبقة الحاكمة المستجدة وبنخذه عثمان الذي قضى عليه. متطفاً لهم الإسلام ومعرفة؟ وهل يصح له أن لا يعد بلال الحبشي الذي كان يرى في الإسلام حريته من الزحف كمصداق اجتماعي بارز لدين التوحيد، وبعد عبد الرحمن بن عوف الذي كان يمتلك ألف غلام وجارية مصداقاً غريباً لهذا الدين الحنيف؟ وهل يصح له أن ينخذ سلسلة الخلفاء والسلاطين الذين ورنوا الجاهلية وفقدوا الأكاسرة والقبصرة ويتنقض النظر عن سلسلة الشهداء من أبناء النهضة الإسلامية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضوا نحبهم في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض؟ وهل هنالك مفكر لا يعلم اليوم أن جميع الأديان الكبيرة كانت في بادئ الأمر تمرراً وعصياناً على القوى الحاكمة ونورة لا تهاذ الناس من الساطة والعبودية؟ غير أن النظام الطبقي الحاكم بمسح فصاحه دائماً نمار الحركات الاجتماعية ويستخدها من أجل تحكيم وجوده وتثبيت سلطانه... ألم تصح «الاشتراكية الديمقراطية» في أوربا أكبر مدافع ومحافظ على النظام الرأسمالي وأقوى مانع لحصول النورة

العمالية المأومة وغم أن الاشتراكية والديمقراطية كانتا ثمرتي أزكي الدماء وأعز الشهداء وأوفى الرسالات الفكرية التحررية البشرية؟

قلو لم يكن البابا وماركس لأنتموه النهضة العارمة المعارضة للنظام الطبقي الرأسمالي الاستغلالي الذي يطالب بإتقاذ الإنسان وتحريره من قيود المادية العمياء والبرجوازية البشعة وتسميته من تكوين قطره الإنسانية الحقّة وعرض فيه الوجودية وإبراز صوره الاستعدادة بواسطة تحريره من قيود الجشع والمسااة وتدوين فلسفة تاويجه لا على أساس نقي الدين بل على أساس وسط هذه النهضة الإنسانية العارمة بنهضة الأنبياء الذين بعثوا من بين صفوف الناس وحطّموا بفزوس التوحيد آلهة الشرك والأصنام التي كانت وموؤاً للفرقة العرفية والفومية والطبقية والقبلية ودعوا الناس إلى التصالح والحرية والعدل والمساواة والنقوى ورفض الظلم والجور والجهل والغرابة والسحر والتعلّق بالدنيا. وفي هذه الحالة ستتصوّر الحقيقة وستنكر الاشتراكية على الإرادة والهدف المقدس الذي ينبثق عن عمق الفطرة الإنسانية التي سعى الإنسان إلى تحذيبها طوال التأويج بدلاً من ارتكازها على ألوية العوامل المادية الديالكتيكية العمياء التي تعمل بشكل جبري ولا تتدخل فيها إرادة الإنسان قطه وسكون الطاقة الدبنة الهائلة في أنحاء العالم ومخصوصاً في العالم الثالث سنداً معنوياً وروحياً وفكرياً لهذه النهضة بدلاً من أن نكون سدّاً ومائماً كبيراً نستغله

أيادي الاستعمار والرأسمالية

فلتبنا نحن المفكرين في هذا العصر ومخصوصاً المفكرين في العالم الثالث وبالذات عالمتنا الإسلامي أن نخلّص أنفسنا من نتائج النزاع الفكري بين البابا وماركس ونربط الروح الصورية والهدف المقدس والتنويع التسميية السطالاية بالمعادلة والمناهضة للاستعمار والرأسمالية برسالة التوحيد التي طالما ناهضت الشرك بمختلف أشكاله الفكرية منها أو العرفية والفومية والطبقية لتصل إلى الغاية الكريمة العلى وهي المساواة بين الناس في توزيع الثروة، ولكي تدوّن «فلسفة القدر التأويجي» بالشكل المطلوب ولكي تثبت للجميع أن النظام الرأسمالي يجرؤ الإنسان ويمسغه ويمثل به وأن الدين الذي بدعو الإنسان إلى التكامل والتعلّق بالقيم الاخلاقية المتعالية لا يمكن له أن يبقى في هكذا نظام بل سيندم مع اندماد الماهية الإنسانية. فإن لم يفعل فما هو بدين بل خرافة. وأن الاشتراكية الحقيقة الصادقة على صنع مجتمع عاى من الطبقات لا يمكن لها أن تتحقق إلا عن طريق الدين. لأن الناس ما لم يترؤوا تربية اخلاقية ومعنوية صحيحة نمكثهم من إشار حقوقهم من أجل الوصول إلى العدالة الاجتماعية سوف لا يكون يوسعهم صنع مجتمع نسوده العدالة الاجتماعية إذ الحقوق ليست متساوية أبداً. وأن النظام الماديّ (Materialism) يؤول إلى النظام الفردي (Individualism) لا محالة والمكس صحيح أيضاً. كما أن الدين

لا يمكن له أن يتحقق قبل أن يتخلص المجتمع من فيود الطمع والاستغلال والاستعمار والقواصل الطبقة ففي هذا المجتمع وحده يستطيع الإنسان أن يتخلص من المسيح والاستحالة إلى «شيء» في نظام الماكينة والرأسمال والديوان في نظام المال والاستهلاك والتحول إلى قريسة أو حيوان مقترس في نظام العلاقات الطبقة، وفي هذا المجتمع فقط يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه ويتكفى على أصالة وجوده ويكون فطرة نوعة ويستعرض فيه الانسابة المتعاقبة فتتكمّل ذاته ويتخلق بأخلاق الله ويصبح خليفته في الأرض وهذه هي دعوة الدين التي لا تتحقق إلا في مجتمع غير طغي يركز على أساس «الكتاب والميزان والحديد» لا على أساس الجهل والتميز والفسف وهذا هو معنى تحقق التوحيد في الحياة البشرية.

ندوة للإجابة على

الاسئلة والاختقادات

س : ان أغلب النصوص التي استندتم اليها في كتاب «معرفة الاسلام»^(١) في خصوص نقل وقائع تاريخ الاسلام هي من مصادر أهل السنة ، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان تلك الوقائع لها تأثير اساسي في اصول عقائد الشيعة وان احتمال التحريف والتغيير في المصادر التاريخية لأهل السنة قوي جداً، لماذا لم نستندوا الى المصادر الشيعية في موارد الاختلاف أو نشيروا اليها في الهامش على الأقل ؟ هل هناك دليل مفتح على اختيار هذه المنهجية ؟

ج : نعم هناك أدلة عديدة:

١ - لقد قلت في مقدمة مقالة «من الهجرة الى الوفاء» ، وهي جزء من كتاب (معرفة الاسلام) وفي كتاب «محمد خاتم الانبياء» أيضاً اني استندت في كتابة السيرة النبوية الشريفة غالباً على نصوص الاخوة أهل السنة وأنوقع من الاخوة أهل السنة أيضاً ان يستندوا على نصوص اخوتهم الشيعة في هذه المجالات (وخصوصاً في المجالات التي يوليها الشيعة اهتماماً خاصاً) فإنه بهذه الطريقة فقط يمكن التقريب بين هذين

الأخوين اللذين نباعدا عبر القرون.

٢- حاولت استخراج «ما يهيم به الشيعة» من مصادر أهل السنة لأنه لا يمكن الشك في أصالة المعتقد المذهبية التي جاءت على لسان المذهب المخالف. وهذا ما دعاني لأرسم وجه الإسلام في كتاب «معرفة الإسلام» بخطوط شيعية أخذتها من علماء السنة، وأنها لمعري علامة بيّنة لأولي الألباب تدلّ على حقانية الشيعة وأصالة مذهبهم. وقد عمل بهذه الطريقة الكثير من علماء الشيعة العظام من قبيل العلامة الأميني في كتابه «التدبير» والسيد شرف الدين في كتاب «المراجعات» وغيرهم من العلماء الأفاضل^(١)، وهذا هو سبب الفسحة العلمية لتناجاتهم، وهذه هي الطريقة الوحيدة لخدمة التشيع وأنبأت أصالة هذا المذهب لأهل السنة ولكل من يرى التشيع مذهباً متأخراً أو يعتقد أنه من صنع المعجم والبرانيين. إلا أن هذا الأمر تحول إلى «أنهام» بالنسبة لي فقط، لأنه انتشر بين الرعاع والمخادعين ومن ورائهم أولئك الذي يترزقون على الجهل والثرثرة واستغلال الناس، الذين يسمون الخدمة خيانة والخيانة خدمة، ببساطة.

٣- طيفاً للطريقة العلمية المتداولة في كتابة التاريخ. بحسب

(١) حتى أن آية الله محمد الصدر نقل جميع الروايات المتعلقة بالامام المهدي (ع) في كتابه «موسوعة المهدي» عن النصوص والمصادر السنية ولم يستند على كتب الشيعة ونصوصهم قط.

الاستناد على أقدم النصوص، أي أفرها إلى زمن الواقعة من الساحبة التاريخية. إن هذه الضابطة وإن كانت غير دقيقة مئة بالمئة إلا أنها نذراً ملاكاً جيداً في تقييم النصوص التاريخية، وبما أن نصوص الشيعة في «التاريخ والسير» هي نصوص متأخرة من الناحية التاريخية (بسبب الوضع السياسي المتأزم الذي عاشه الشيعة عبر التاريخ) أقرنا اختيار نصوص أهل السنة كونها أقدم تاريخياً من نصوص الشيعة.

٤- إن اتهام جميع المؤرخين والمفكرين المسلمين الذي لا ينتمون إلى المذهب الشيعي أو لا تطبق جميع عقائدهم مع هذا المذهب بنهضة المخالفة لأهل البيت هو أمر بعيد عن الأنصاف والدقة.

إلا أن نلفين العدو الأجنبي الذي لا ينتمي إلى أي من المذاهبين لا السني ولا الشيعي جعل أغلب الناس في بلدنا يحملون هذا التصور الخاطئ. علينا أن نعلم أن مخالفي الملة الشريفة هم النواصب (كانوا أقلية صغيرة ولم يبق منهم إلا الدر اليسير) وهناك بعض المفكرين وعدد يسير من أهل السنة ممن تأثروا بنفذين النواصب أو كانوا عملاً للأجانب والأعداء.

لقد حاول العدو طوال السنين الماضية أن يلفن الشيعة بأن جميع الأخوة أهل السنة هم من النواصب كما حاول أن يلفن السنة بأن الشيعة هم من الملاء الفاتلين بالوجهة علي (ع) الفرقة التي يعتقد الشيعة أنفسهم بطلانها وشركها!

فإن قلنا أن جميع المؤثرين المسلمين وجميع الكتب الإسلامية المعتبرة هي كتب نخالف أهل البيت (ع) وزعمنا أن فضائل علي (ع) وحرمة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) لم يعترف بها المؤلفو الأقلية الشيعية وكتايبها وأن جميع المذاهب الإسلامية والعلماء والمؤرخين والمحدثين المسلمين من غير الشيعة هم من المخالفين للإمام علي (ع) وأبنائه المبشرين، فإننا نكون قد أصدرنا حكماً ظالماً لا أساس له من الصحة، وقد يكون ناجماً عن عدم اطلاعنا أو غلة إحصافنا وشدة عصبيتنا، ومثل هذا الحكم ليس لصالح العقائد الشيعية وعلى خلاف الحقائق الوثائقية المتفق عليها والتي تشكل المبادئ، الأساسية لهذا المذهب الحق. لأن كل من تمس على فراء: الكتب التاريخية وكتب الحديث الإسلامية الشهيرة يعلم أن جميع أصول العقائد الشيعية الهامة قد أوردت بدون استثناء، في المصادر الرئيسية لأهل السنة وفي كتب الحديث والسيرة والتاريخ والمنسوبة لغير الشيعة. وعندما نرى أن جميع عقائد الشيعة موجودة في مصادر وكتب أهل السنة القديمة، أليس من التضعيف للشيعة ولبيادتهم أن نهم جمع تلك الكتب والمصادر الإسلامية وتشكك في مصداقيتها جميعاً، زعماً بأن فضائل علي (ع) والعزة الشريفة لم تذكر إلا في كتب الأقلية الشيعية ولم يُشر إليها في أي من المذاهب والكتب الأخرى سواء العلمية منها أو التاريخية والروائية والكلامية والتفسيرية وإن أُشير إليها فقد رُجِّح فيها مثلاً

أبو بكر وعمر وعثمان على علي ورجحت عائشة على فاطمة ورجَّح الخلفاء على الأئمة!

إن هذا الادعاء، ليس صحيحاً لأننا لا نجد فضيلة لملي وأهل البيت (ع) إلا وقد وردت في هذا الكتاب، وقد أشارت أكثر هذه الكتب إلى أفضلية علي وأهل البيت (ع) على مطلق الخلفاء، والصحابة فيما وجه الكثير منها الذرع الانتقادات إلى الخلفاء وتقل الكثير منها عيوبهم وأشر على نقاط ضعفهم، وقد شمل هذا النقد كل الخلفاء حتى الشيعين وخصوصاً عثمان بن عفان.

٥- لقد انتقد بعض السادة ومنهم السيد الأنصاري القسبي أو (الآراكي؟) الذي كان يحاضر في جامع اليزاين في إيام محرم في السنة الماضية، طريفتي في التحقن والتي استندت فيها على الكتب التاريخية لأهل السنة وكان هذا النقد، النقد المستطفي الوحيد الذي تعرضت له في التحقيق. إذ لم يراع أحد غير هذا الرجل المنطق والأدب في النقد.

لقد عرض السيد الأنصاري في انتقاداته نقاط ضعف الكتب التي استندت إليها (حتى تلك التي ليس لها أي ارتباط بتحقيقاتي ككتاب صحيح البخاري...) وأثبت أن هذا الكتاب يحتوي على احاديث ومضامين تاريخية ضعيفة (وحتى مزيفة) مثبته بذلك الطريقة الرائعة التي اتخذها العلامة الأميني في «الفد بر» ثم قال مستثلاً: هل من

الصحيح أن تجعل هذه الكتب مصادر لتحقيق؟

إن هذا الرأي هو رأي صحيح بنسبة خمسين بالمئة، والصحيح فيه هو وجود المضامين الغاطقة والأحاديت الضعيفة أو المزيطة في تلك المصادر إلا أن النتيجة التي خرج بها السيد الأنصاري نادر غير صحيحة من وجهة نظري لأن إختيا والمحقق لبعض الكتب كمصادر في تحقيقه لا يعني بحال أنه يؤيد كل ما في تلك الكتب بدون استثناء. بل أنه يؤيد الشيء الذي نقله من ذلك المصدر لا أكثر ولا أقل. ولو كان استنتاج السيد الأنصاري صحيحاً لما استطاع أي كاتب أو محقق (في أي مجال) أن يجد كتاباً يستند إليه ويتخذ مصدره في تحقيقه لأننا لا نعرف كتاباً يتصف بالمصحة من ناحية السند أو الدلالة سوى كتب الرحي التي لم يسلم منها من التحريف إلا القرآن الكريم، وعندما يكون الحديث عن التاريخ يزاد الظن بله لا أننا لا نعرف كتاباً تاريخياً يمكن تصديق جميع منقولاته بدون استثناء.

ولكن عندما يصل الأمر إلى يصبح الخطأ المطيع ذنباً لا يغفر ويلقن عوام الناس أنه إذا ارتكب شخص من امتالي خطأ في أحد كتبه أو محاضراته فإن كتابه بل جميع كتبه وحتى وجوده سيكون جريمة وكفراً كما صرح أحدهم بقوله أن شياً مسلماً مؤمناً أواد أن يذهب ريشلص الناس من وجوده - أي وجودي أنا - بطننة خنجر، بينما نرى في منطق الدين العلمي أنه إذا أخطأ المحقق في رأيه - حتى لو كان

مجنهناً رفقها ومرجعاً لتقليد كل الناس وبسبب خطأ بخطي الملايين من الناس - فإن له اجراً في عمله : «للمصيب أجران وللمخطيء أجر واحد»^٦

٦ - لقد ذكرت في مقدمة كتاب «معرفة الاسلام» اني اودت ان ارى النبي (ص) في المدينة المنورة من أقرب فاصل زمني لأكتشف سيرته بطريقة كآتي كتبها قبل ألف سنة (معرفة الاسلام ص ٤٥٦) فهل يوجد مصدر بهذا القدم والاعتبار سوى مسيرة ابن هشام وتاريخ الطبري؟

٧ - لقد ذكرت في تلك المقدمة: «اني تصرفت عن وعي في الاستناد على المصادر القديمة التي يرجع تاريخ بعضها إلى أكثر من ألف سنة لأشئ اعلم أن أقدم مصادرونا التاريخية دؤنت في زمن الحكم الأموي والعباسي وإن الخلفاء والسلاطين في هاتين الحكومتين كانت لهم اليد الطولي في تحريف الحقيقة والعلم والذين لصالح حكمهم مستخدمين بذلك سياسة الترغيب والترهيب ناره والخطط الماكرة أخرى كما كنت على حذر أيضاً من أن السياسة التي نركز على النظام القبلي وتجعل الدين آلة لها هي اسوء أفه تصيب «الدين والتاريخ». ولذلك سميت قدر الامكان إلى أن اصون نفسي من الألاعيب السياسية الاموية العباسية التي أرعبت كبار مؤرخينا ناره وجعلت منهم عملاء لها أخرى.

٨- لقد استندت في كتابة السيرة النبوية إلى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وقد ظن البعض أن هذين الكتابين كانا المصدر الوحيد في كتابة كل السيرة النبوية، ولا عجب في ذلك لأنهم قد لا يعرفون شيئاً عن قن كتابة التاريخ فإن هذا المنهج في كتابة التاريخ يؤول إلى موضوع معقد يختلف فيه الآراء وهو نفس المنهج الذي يستخدم في تصحيح الكتب ذات النسخ المتعددة والمستندة لكي يتضاهل احتمال الوفوع في الخطأ إلى مستوى معقول.^(١)

ومن المنبر للذهشة هو أن نص السيرة النبوية التي درستها في ثلاثة فصول «من هو محمد؟»، «تحليل شخصية محمد» و«سلامة محمد» تختلف تماماً من ناحية الروح والرؤية والحكم والتحليل عن سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري. وأما من ناحية الأخبار وتغل الحوادث العادية أو الحوادث المتفق عليها في حياة النبي (ص) (من قبيل شرح

(١) كما يستند فيها، في المذهب الشيعي إلى الكتب الأربعة: «الكافي» - «التهذيب» - «الاستبصار» و«من لا يعرفه» للفقهاء في الوصول إلى الحكم الشرعي، غير أن هذا لا يعني أنهم يقتبسون مضامين هذه الكتب أو يرجعونها أو يثقلون التناوب بل أنهم يمنعون في الوصول إلى الفتوى ويرفضون بعض المضامين المتفولة في هذه المصادر بل يتكرونها شدة من قبل القول بتحريف القرآن الذي ورد في كتاب «الكافي» (المقصود تحريف القرآن هو حذف بعض الآيات التراتبية من القرآن الكريم حيث نقل كتاب «الكافي» وبعض الكتب الأخرى روايات في هذا المجال، ولم يزعم أحد إشاعة شيء في القرآن).

الحروب وتوقع الاختلافات والحوادث والاضاع العامة...) فليس هناك خلاف بين المذهبين السني والشيعي وإن كان نمة خلاف فهو نادر ولا يرتبط بالمذهب الشيعي أو السني. وأما بالنسبة لموارد الاختلاف التي هي محل اهتمام السنة والشيعه والتي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بقضايا خاصة تتعلق بالمذهبين فقد اجتزت فيها حدود هذين الكتابين بل جميع كتب أهل السنة ولم أبحث في الكتب التاريخية الشيعية فحسب بل بحثت في كتب التفسير والحديث ونصوص كتاب نهج البلاغة وحاولت العثور على الحقائق التاريخية كما هي. ولو أتى القاري، المطلع نظرة عابرة على كتاب «معرفة الاسلام» ورأى مضامين من قبيل: علي في معركة أحد (ص ١٨٣)، علي في حنين (ص ٣١٨)، غضب علي (ص ٣٦٠)، مهمة علي الخاصة في إبلاغ البراءة (ص ٣٨٠)، قدوم علي من اليمن واستنناؤه (ص ٤١٩)، مصير الأئمة بعد النبي (ص ٤٢٣)، الإمامة وعلي (ص ٤٢٧)، عصية أبي بكر في وجه علي (ص ٤٣٦)، غدیر خم ونزول آية تكميل الدين بعد خطبة الغدير (ص ٤٣٢)، المعاطلة في إرسال جيش أسامة (ص ٤٣٣)، احضار علي للصلاة (ص ٤٤١)، طلب الفلم والدواء للوصية (ص ٤٤٣)، التأمر للحيلولة دون تدوين الوصية، نداء النبي الصامت، رأس النبي في حجر علي (ص ٤٤٦)، لم يجب أحد سوى علي (ص ٤٩٠)، عصية أبي بكر (ص ٤٩٣)، أبو ذر (ص ٤٩٥)، علي وأبو ذر (ص ٥٨١)... لأدرك مدى

استقلالي عن كتب أهل السنة ومدى نجاحي في استغلال مبادئ الشيعة من لسان أهل السنة ومصادوهم الرئيسية: ولأدرك السبب الذي جعلني أكتب أحد فصول الكتاب تحت عنوان «موت النبي» وأشرح أحداث السنة الأخيرة من حياته في هذا الفصل وكيف أنني سمعت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى عرض ملامح علي في وجه النبي (ص) وحاولت أن أعرض حقيقة اهتمام النبي بعلي وعنايته به في كلامه وعمله وجميع حالاته وتصرفاته وحتى فراواته السياسية والعسكرية. خصوصاً في السنة الأخيرة من عمره. وسيرى القاري أيضاً أن قلبي واسلوبي يتغير عندما يكون الحديث عن علي (ع) وأن كلماتي تكاد أن تطير شوقاً عند وصفه ونوشك أن تلتفت حول نفسها ألماً عند بيان آلامه واحزانه وسوف يرى أن الذين حاولوا إيهام الناس بأن هذا الكتاب يتنافى مع الفكر الشيعي هم بعدون كل البعد عن الاتصاف بهما كان دافعهم وهدفهم.

س: هناك شائمة تقول أنكم لا تؤمنون بخلافة الإمام علي (ع) طيفاً لحديث غدير خم المروي عن النبي (ص) غير أن كتابكم «معرفة الاسلام» يفتد هذه الشائمة الرجاء الافصاح عن رأيكم في هذا المجال بشكل صريح وبدون أي إيهام:

ج: أعوذ بالله! فكتاب «معرفة الاسلام» موجود وفضة القدير مذكورة فيه بوضوح وقد أثبت في الكتاب عدم كفاءة أي شخص كان

بجمل ان يلتفت الناس حولته بعد وفاة النبي (ص) مشيراً إلى أن علياً (ع) هو الشخص الوحيد الذي يليق به أن يحرز هذا المنصب وذكرت في الكتاب قصة القدير بهذا القبرها.

إن شخصاً مثلي إذا أراد الافصاح عن رأيه وافكاه في الله والتدبر والنبي والقرآن والإمام وعلي وعمر وأبي ذر وعبد الرحمن بن عوف والحسين والإمام الموعود والدجال والدعا، والصح والامامة والعدل... فليس امامه سوى «الحديث» و«الكتابة» ولكن كيف به لو كان الناس في مجتمعه لم يؤدوا أنفسهم على «الاستماع» و«القراءة»؟ مثلاً أنهم يقولون: انك لم تطرح مسألة الولاية بشكل واضح وصريح ولم نتحدث عن حق علي (ع) بشكل واف عندما تحدثت عن الشورى في فصل «فوائد الاسلام» في كتاب «معرفة الاسلام» وهذا كلام صحيح غير أنني ذكرت في مقدمة الكتاب أنني أخذت هذه «الفوائد» من «فريد وجدي» وإنما تشكل مجموعة دروسي الأكاديمية في تاريخ الاسلام في النصف الأول للسنة الدراسية وقد خصصت النصف الثاني من السنة الدراسية للبحث في الولاية والامامة وموضوع السيفقة. وقد طبع هذا البحث ونشر في الأسواق.

صحيح أنني لم أذكر شيئاً عن الولاية والامامة في هذا الفصل الذي نقلته عن فردى وجدي غير أنني كتبت عشرات الصفحات في نفس الكتاب في بحث السير النبوية وذكرت عشرات المرات فضيلة

علي وحفة وامامته وعرضت بضخف التخلفاء وعصبة أبي بكر وضرورة العمل بوحية النبي (ص) ونظمت فصة التذير بتفضيل واستكروت مبدأ البيعة والشورى والنظام الديمقراطي في الحكم. ثم اني كتبت بعد كتاب «معركة الاسلام» أكثر من ألف صفحة عن امامة أهل البيت وعفائد الشيعة وناريخهم وقد طبعت هذه الكتب أكثر من مرة وباعداد صغيرة جداً كما سجلت لي محاضرات عديدة في هذا الموضوع قد يتجاوز عدده ساعاتها عن الخمسين ساعة ووزعت آلاف الاشرطة المسجلة في انحاء هذا البلد بحيث يعرف كل اطفال المدارس - ممن ألقى السمع وهو شهيد ولم يكن له اي غرض او مرض - شيئاً عن آرائي وافكاري في المذهب الشيعي كما ألفت في السنوات الست الماضية في حسيينية «الارشاد» أكثر من مئتي محاضرة حول الشيعة والولاية واهل البيت (ع) وقد سجلت كل هذه المحاضرات ووزعت في الاسواق ويمكن الحصول عليها أو تسجيلها بكل سهولة. كما كانت جميع التفاعلات المسرحية التي اجراها الطلبة الثقاتون في الارشاد يدورن استثناء نختص بالمذهب الشيعي من فيل: أبي ذر القفاري، الحسين وارث آدم، ثورة المدومين الشيعة (سريداران)، ثورة التوابين و...

وأما في موضوع مسألة الولاية فإن الكتاب الوحيد الذي كتب بلغة علمية وبأسلوب سلس وارتكزت مضاميته على أساس الدراسات التاريخية والقرآن والسنة النبوية الشريفة (لا على أساس التهريج

والسب والشتم والافتراء والاستناد الى امور تتنافى مع روح الاسلام والنشيج والمعل السليم ونسب الاحساء للشيعة وهناك حرمتهم) هو كتاب (الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسنة) والذي نشرته حسيينية الارشاد حيث يضم هذا الكتاب بين دفتيه موجزاً ملخصاً للدراسات المبينة التي قام بها الاستاذ محمد تقي شريعتي والتي تشتمل على أقوى الدفاعات العلمية عند الشيعة وأكثرها منطقاً، فبعد رد الاستناد في هذا الكتاب جميع الاتهامات والشبهات التي طرحها المخالفون خلال القرون الاربعة عشر الماضية مراعاةً بذلك الانصاف العلمي وأدب الجدل ومستنداً الى القاعدتين الرئيسيتين اللتين ننطق عليهما جميع المذاهب الاسلامية. وقد اثبت الاستاذ للأخوة السكة ولمفكرينا الشيعة ممن نأقروهم بأبواب المدو وإعلامه أو حمل افتكاراً سلبية ازاء مبادئ النصح العلوي بسبب الانحراف والتخلف الاجتماعي والفكري والاعلامي الذي يعاني منه بعض دعاة الدفاع عن هذا المذهب... اثبت لهم ان المذهب الشيعي هو الروح الحقيقية والنهج القويم للاسلام وان المثقف الحر الذي جعل من القرآن والسنة قدوة له ويعرف على روح الاسلام والعدالة في التاريخ واستطاع ان يخلص نفسه من شتى القيود سواءاً خلاقة بني امية وبني العباس أو الحكومات التي ووتتها أو الخطط والمؤامرات الاستعمارية التي وزعت بذو القننة والتفرقة بين المسلمين، سيأخذ طريقه سواء أم أبى الى بيت فاطمة

وسيمع الاسلام من لسان علي تاوكتاً وراءه تصور الظلم في دمشق وبغداد ومساجد الضرار والمصاحف المرفوعة على الزمّاح.

إلا أن هذه الجماعة المبتلاة بداء التحجّر والانغلاق لا تزال تنهال علينا بأنواع التهم والافتراء وتمكّر الاجواء خدمة للاعداء وغم كل الجهود العظيمة التي بذلت في هذه المدة القصيرة ووعم ان هذه النهضة الاسلامية التقدمية المرتكزة على وؤبة شبيمة علوية نهروية قد لافحت اقبال المفكرين وأصحاب الفلم وخصوصاً الشباب المثقف والطلبة الجامعيين داخل القطر وخارجه. ووعم جميع الأدلة والفرائن والمحاضرات والأعمال المسرحية والاجتماعات ومكتنجات البعث والتفد والذووس والمعالم الواضحة والنجاحات الباهرة التي أذعن لها المدوّ والصديق.

اذن ليس بوسعنا إلا ان نتحدث ونكتب ونشرّد على اشاعات الأعداء والمغرضين والأثانيين والانتهازيين وأولئك الذين بسسون أنفسهم «مؤمنين» غير أنهم لا يجيدون ما يمنهم من الطمن والتشكيل بين وفنوا حباثهم في سبيل «الابمان» بل حتى تكفيرهم قبل فراء ما كتبوا أو الاستماع الى أحاديثهم مكتنفين بالاستناد الى المعلومات والاشياو والتهم الصادوة عن مصدو مشكوك ومجهول وموهوم اسمه «فالواء»

أوبد أن أقول لهؤلاء الاخوة : اخواني نحن جميعاً ضحايا

لؤامرة واحدة فتحن وأياكم بجمعنا إيمان واحد وألم واحد وطريق واحد فكلنا مسلمون وكلنا تؤمن بكل وجودنا واخلصنا بالعترة الشريفة وكل هذه الانشاعات هي من أجل ان لا نتعرف على بعضنا وأن لا نقب وقلة واحدة في وجه عدونا المفسرك.

ولهذا نرى ان تدوين الآلاف من الصفحات والتحدث مئات الساعات في اثبات التشيع والامامة والوصاية لا يفي شيئاً وان كل ما كتبه وتحدثت به في موضوع العترة الشريفة والاخلاص لها وجميع آواني العلمية والعقائدية والنسائحية الجديدة في موضوع عظمة علي (ع) واصالة مدوسه لا تدلّ بمكان على انتمائي للمذهب الشيعي! حسب ما نراه هذه الجماعة التي نحكم على الناس بدون مطالعة كتبهم والتدقيق في امورهم بل نستند في حكمها على اخبار وكالة (فالواء)!

اذن علي أن أقلد اساذي الحبيب أبا ذو النغاري الذي أخذت منه اسلامي ونشيعي وهدي وألمي ومحتني وشعاري وأشاوكة في صرخته التي هزت المدينة والشام وفي نظرفه الذي لم يراع فيه «المصالح» فلم يجلس أبو ذو جلوس أهل العلم والتحقيق والتفد ليطرح «الحقائق» في لقب من العبارات الفاضلة وأمام العلماء والخواص فقط وعابة للمصالح بل نراه يحمل عظماً بجده في الزرقان وبذهب الى خليفة رسول الله ويصرخ بوجهه:

«يا عنمان أئك أنت السبب في فخر الفقراء وغنى الاغنياء»

وبصرخ في وجه كعب الاحبار صاحب الجلالة والاحترام والرجل العالم بالدين عند اليهود والاسلام والذي كان مرجعاً للصحابية في تفسير القرآن وفهم الاسلام: «يا ابن اليهودي أتريد ان تعلمنا ديننا؟» ثم يضربه بعظم البعير - سلاحه الوحيد - وينسج به رأسه ليتقى الى الشام حيث معاوية وفسره الأخضر ليصرخ بوجهه هو الآخر: يا معاوية ان كان هذا القصر من مالك فهو اسراف وان كان من مال الناس فهو خيانة! وبذهب الى المسجد ليرأ آية ﴿والذين يكتزون﴾ ويروي الأحاديث التي لم تكن المصالح تقتضي ووايتها ويصر على شراء هذه الآبة ورواية تلك الاحاد بث لئير غضب كبار الصحابة واصحاب المراكز القوية في السلطة من المهاجرين والانصار ممن اشتركوا في غزوات الرسول وكانت لهم سابقة طويلة في الاسلام. انهموء بالكفر والعصيان والتمرد على قوانين الشرع والخروج من الاسلام والسعي الى بث التفرقة بين المؤمنين وزرع بذور الاختلاف بين المسلمين. بقي وحيداً بعد ان نفاخ خليفة الاسلام من المدينة وواليه من الشام وسلفه اصحاب المصالح من الشخصيات الاسلامية بالسنة حداد وانهموء بالارتداد عن الدين والكفر بالله ووسوله والقرآن والمعاد؟

قبل سبعة عشر عاماً وعندما كنت أكتب قصة أبي ذو ووصلت الى الوقت الذي نفي فيه من الشام الى المدينة كنت استغرب من كلامه عند ما خاطب الناس متن جاء منهم لتوديعه قائلاً: ايها الناس اني اشهد ان

لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله!

ولكنني أعلم الآن لماذا فعل ذلك؟ لأن أهل الشام كانوا جميعاً ضحايا لإعلام معاوية المضلل وكانوا قد أخذوا اسلامهم من اجهزته الدعائية والتي كانت تبلغ للاسلام والشخصيات والحوادث الاسلامية بالشكل الذي تقتضيه مصلحة معاوية ونظامه وطبقته، وهذا هو السبب الذي جعل الناس ينسأولون بدهشة عندما أخبروا بمقتل علي في المسجد. فماذا كان يفعل علي في المسجد؟ أكان يصلي؟ ثم انتا تعلم ايضاً ان الامام السجاد وعنه زينب (ع) عندما دخلا مدينة دمشق وهم يسرون امام القافلة لم يكن الناس يعرفونهم بل كانوا يشتمونهم للحصول على الثواب لانهم كانوا يظنون انهم من الخوارج الذين يريدون زرع بذور الفتنة. ان اسلام أبي ذر وفرأته كانوا يهددان النظام الأموي من جهة، ويمرضان للخطر مصالح الخطباء، والمفسرين والفهاء والصحابة وائمة الجمع والجماعات ممن كانوا ينتمون لهذا النظام من جهة اخرى. وهذا هو السبب الذي جعلهم ينهمونه بالكفر والارتداد لانها اسهل طريقة للتخلص منه. كما ان افضل نهمة في المجتمع الشيعي هي ان ينهمروا الشخص بأنه ليس شيعياً بل هو من السنة والوهايين!

وهذا هو السبب الذي جعل أبا ذر يضطر الى اعلان شهادته بيد خمس وأربعين سنة من القتال والجهاد في ركاب الرسول والخدمة

والتعليم في سبيل الاسلام، والأعجب من ذلك هو ما كتبه الامام الحسين (ع) في وصيته التي أعطاها الى أخيه محمد بن الحنفية عند تركه المدينة فكانت هذه الوصية تنبئ بهذه العبارة: «إن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله...» فاعتبروا بأولي الأئصار.

ولذا أرى من الضروري ان اعلن بصراحة عن تشيبي وعن اصول عقائدي التي كتبت عليها طوال عمري وقدمت في سبيلها شبابي وعشرين سنة من دراستي وكتابتي وكلامي وعلمي وان افول: «أني المدعو علي شربني المنهم بجميع الاتهامات التي يفدر اللسان أن يطق بها، اعتقد اعتقاداً كاملاً».

١ - وحدانية الله .

٢ - حقانية جميع الانبياء من آدم (ع) حتى محمد (ص) .

٣ - رسالة النبي محمد (ص) وخانبة نبوته .

٤ - ولاية الامام علي (ع) وامامته ووصايته .

٥ - العترة الطاهرة: يصفها باب المصمة الوحيد للوصول الى القرآن والسنة .

٦ - ان اعلان النبي (ص) عن امامة علي (ع) ووصايته لم يتم في غدير خم فحسب بل في واحد وعشرين مكاناً آخر استخرجها ودرستها جميعاً .

٧ - ان الشورى (البيعة والاجماع والديمقراطية) هو مبدأ اسلامي

الا أنه لا يعمل به إلا في حالة عدم وجود المبدأ الأهم وهو الوصاية المستندة الى كلام الوحي . وان التمسك بهذا المبدأ في شورى السفينة هو تعسف باستعمال مبدأ من اجل سحق مبدأ آخر ذي أهمية اكبر وهو وصية النبي (ص) وحق علي (ع).

٨ - ان النبي (ص) كانت له رسالتان: احدهما ابلاغ الوحي (النيرة) والثانية: بناء الامة (الامامة). وقد ختمت رسالته الأولى في زمن حياته (ص) إلا ان رسالته الثانية كان عليها ان تستمر لمدة اجيال متوالية (الثلاثة فروع) تحت قيادته هو وأوصيائه الاثني عشر. بمباراة أخرى ان النبي (ص) كان خاتماً لرسالة «نبوته» وان الائمة (ع) كانوا خاتميين لرسالة «امامته».

٩ - لم يجر التاريخ حسب ارادة النبي (ص) ونبيوه بل اخذ منحرف بعد السفينة بالتدريج فانضمب الاسلام الى شعبتين رئيسيتين: التشيع وهو الاسلام الذي سبته الطيقة الحاكمة ونزع على يد الحكام والائمة التابعين لهم، والتشييع وهو الاسلام الذي أخذ مجراه بين الأوساط المحرومة والناس المظلومين الناشدين للعدالة. فأصبح الأول اسلام الخلافة والتمييز والاستبداد والاستغلال، وظل الثاني اسلام الامامة والعدالة والحرية والمساواة.

١٠ - ان الخلافة هي التي انتصرت في التاريخ ولم نتحقق الامامة على الصعيد الاجتماعي فحصلت الفية .

١١ - إنَّ عصر الغيبة (ابتداءً من غيبة الإمام الثاني عشر حسني ظهوره في آخر الزمان) هو عصر مسؤولية الناس في القيادة الاجتماعية وهو العصر الذي يغتار الناس فيه قائداً لهم تحت عنوان «نائب الإمام».

١٢ - إنَّ مبدأ «انتظار الفرج بعد الشدة» هو الإيمان بدين الاعتراض والإيمان بـ «الفلسفة الجبرية للتاريخ» وزوال النظام الاجتماعي الظالم والتميز الطيفي الجائر زوالاً نهائياً. فمعنى الانتظار هو أن قائم آل محمد (عج) ينتظر نوره الناس على الظلم المهين على العالم وإن الإمام الموعود المنتظر المسلَّح القائم الصمصام المنتقم الذي سيملأ الأرض فسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً هو الذي ينتظر في الحقيفة ثورتنا.

١٣ - إنَّ القول بأنَّ أصول المذهب الشيعي هما «الإمامة» و«العدل» وأن التوحيد والنبوة والمعاد هي أصول الدين الإسلامي قول غير صحيح لأنَّه يستلزم اتهام الشيعة بأنَّ مذهبهم هو الإسلام ومعه شيء آخر. بل اعتقد أن التوحيد والنبوة والمعاد هي الأصول الثلاثة للدين بمعناه الأعم لأنَّ الدين الذي يفتقد أحد هذه الأصول ليس ديناً وإنَّ للإسلام أصولاً أخرى وهي «الإمامة» و«العدل» وإنَّ التشيع لا يعني شيئاً سوى الإسلام أي القرآن والسنة وإنَّ هذه المعادلة هي المعادلة الصحيحة:

التشيع العلوي = التشيع المحنذي = الاسلام - (الخلافه السياسية + أنواع التمييز العرقي والقومي والطيفي).

١٤ - كما أوَّمن بالتقليد (بمعنى تقليد الناس للفقهاء المنحصر في الفروع العلمية والاحكام الفقهية أو التقليد الفني والتخصصي والعلمي لا التقليد العقلي والفكري ولا التقليد في اصول الدين).

١٥ - كما أوَّمن بالنفعية لا بسبب الخوف بل حفظاً للإيمان ولا تنهياً بالباطل الذين لا يشعرون بأي مسؤولية بل تنهياً بالمؤمنين الذين يجاهدون سراً من أجل انتصار الحق والعدل والإمامة (مبدأ الكتمان في الضال) وأوَّمن أيضاً بجميعة الشيعة في المجتمع الإسلامي الكبير نجاء المسلمين من أهل السنة كفاً للتطرف المذهبي والتعرات الطائفية وسعياً إلى توثيق أواصر الودة والمحبة وتحقيق الوحدة بين المسلمين ضد عدوهم المشترك.

١٦ - وأوَّمن بالاجتهاد بمعنى الجهد العلمي الحز الذي يبذله المتخصصون الراعون في البحث الدائم عن الحقائق الإسلامية والتكامل في فهم الإسلام والاجابة على المسائل المعسجة والمطالب الاجتماعية الملحة والمشاكل التي يواجهها الناس في كل عصر ومصر.

١٧ - وأوَّمن بالمرجعية العلمية ونباية الإمام لتصدي الفباة الفكرية والاجتماعية ونمينة الطاقات وتوظيف القوى والامكانيات من

أجل نصر الدين والاهتمام بحياة الناس ونأصيل ثقافتهم الدينية والتاريخية.

١٨ - كما أوّمن بدفع الزكاة وسهم الاسام لتأمين الميزانية الاقتصادية من أجل إدارة المؤسسات العلمية والاجتماعية وتنفيذ البرامج والأهداف العلمية للمجتمع الشيعي (لا مجتمع الشيعة).

١٩ - أوّمن بإقامة مراسيم الغزاء في شهر محرم وعاشوراء واحياء ذكر الائمة (ع) وتأسيس الصفوف والمجالس الدينية وحسن البكاء بمعناه الصحيح، وهو توعية الناس وتحييف المجتمع واحياء رسالة الشهداء لا بمعنى كونه عادة ورائية سنوية. لأنّ الشهيد حيّ يرزق، ولا يحتاج لمن يكيه، بل يحتاج الى من يمسير على دربه، فالشيعي هو السائر على درب عليّ والحسين وزينب والعزّة الشريفة، والتشيع هو عمل حقيقي، فهو لا يعني العبودية التي تتنافى مع التوحيد ولا يعني أيضاً الحب لأنّه أمر عاطفي يقتد الى المعرفة والعمل.

٢٠ - كما أوّمن بشفاعة النبي والائمة الأطهار (ع) وأوّمن حتى يترأب شهيد الحربة العظيم الامام الحسين (ع) كمعامل مهمة في نبيل «الأهليّة اللازمة للشجاعة» لأنّه لا ينال الشجاعة في يوم القيامة الا من كان أهلاً لها^(١).

٢١ - أوّمن بالدعاء لا بوصفه وسيلة للتخدير وبدلاً للعمل

(١) راجع الآية (٢٣) من سورة الرعد والآية (٨) من سورة شافر.

والمسؤولية وطريقاً للنجاة الفردية أو طريقاً قوياً للنجاة، بل عكس ذلك أي بوصفه عاملاً قوياً في تنمية القيم الاجتماعية المتماثلة وطرح المطالبات الرفيعة وتلطيف الأرواح من الصدأ والزحيم. ونرى الدعاء في أكمل أشكاله في مدرسة الامام السجاد (ع) بخجل في «الحب والافتقار والوعي والمصال».

٢٢ - واخيراً أوّمن بالتشيع العلوي تشيع الشهادة الأحمر لا تشيع الغزاء الأسود.

من: لقد ذكرتم في كتاب «معرفة الاسلام» (طبع مشهد ص ٤٥) أنّ النبي (ص) ابنم ابنسامة تدلّ على الرضا عندما رأى الناس يصلّون مع أبي بكر وطلب منه ان يواصل امامته بل حتى انه اثنى به وصلّى الى جانبه وهو جالس. هناك سؤالان في هذا المجال، أولاً: طبقاً لما ذكرتموه في هامش الصفحة (١١٥) والرواية التي رويتها في الصفحة ٤٤١، كان النبي (ص) قد رفع علياً (ع) للصلاة بالناس فهل تعتقدون حقاً أنّ النبي (ص) ينسب حساسية هذه الصلاة ويقش النظر عن احتمال التشييع الذي ينجم عنها وبسبب لآبي بكر - رغم ارادته - ان يحسب نفسه لخلق المسلمين وإدارة امورهم؟

ثانياً: هل تعتقدون أنّتم (لو فرضنا صحة هذه الرواية) أنّها دليل على موافقة النبي (ص) على امامة أبي بكر للصلاة أو خلافته في المستقبل؟

ج : هذا هو نصّ العبارة التي وردت في كتاب «معركة الاسلام»:
«في صباح يوم الاثنين... اعانتته صحوة الموت على التهوض من فراشه... رفع الستار فشاهد الناس يصلّون مع أبي بكر... فتمزّته الفرحه لانه شاهد المسجد والناس مرة أخرى وألقى المسلمين وهم يحافظون على وحدتهم وعظمتهم رغم غيابه عنهم».

كما نلاحظون - أن السبب في ابتسامة النبي وفرحته هو اتحاد المسلمين وعظمة صلاتهم ورؤية المسجد والناس بعد مرض طويل ألم به لا صلاة أبي بكر. إلا أن افتعال كل هذه الضجة والهم والسبب الذي صيّر صلاة أبي بكر في هذا الكتاب كقميص عثمان هو فضة تاريخية وليست عقائدية.

فالمسلمون من أهل السنة يقولون: إن أبا بكر كان اماماً للجماعة في ذلك اليوم بينما ينكر الشيعة هذا الأمر.

إن أهمية هذه الصلاة هي بسبب نشيبت أهل السنة بها لفقدهم للأدلة والبراهين الكافية نيماً للمثل القائل «الفريق ينشبت بقنّة»، فهم يستندون إلى حديث شخص ما (عمر أو شخص آخر) إذ قال آنذاك:

«سنختار لديننا من اختاره النبي لديننا».

هنا يمكننا الاحتجاج مع أهل السنة بطرفين: الأول هو أن أبا بكر لم يصل بالناس في ذلك اليوم، بل إن النبي (ص) هو الذي وقف

للمصلاة بنفسه. إلا أن هذا الاحتجاج لا ينتهي إلى أي نتيجة لأن طرفي النزاع سيستند كل منهما إلى كتبه وأسانيده الخاصة ولن يفتح بما يحتج به خصمه.

أما الطريق الثاني فهو أن نفترض - مماثلاً للخصم - أن أبا بكر صلّى بالناس فعلاً ثم تساءل: أولاً: هل بحق للناس الذين افتدوا بصلاة أبي بكر أن يختاروا الخليفة؟ وقد أثبتنا بأدلة واضحة أن العربي الذي كان يعيش قبل أربعة عشر قرناً من الزمن كان يفتقد البلوغ والنضج الكافي لتأسيس حكومة ديمقراطية نركز على حق الانتخاب والشورى.

ثانياً: هل نصح الشورى التي لم يحضر فيها بنو هاشم والكثير من الصحابة الكرام من أمثال سلمان وأبي ذر وعمار والمقداد وسعد بن عباد والكثير من الانصار؟ ولذا نرى أمير المؤمنين (ع) يستند هذه الشورى في أحد أشعاره المشهورة:

وتالياً: هل كان أبو بكر أهلاً للخلافة ولم يكن في الأئمة الاسلامية من هو اولى منه بها؟ لقد اثبتنا عدم اهلية أبي بكر وجميع اصحابه (سوى علي (ع)) لهذا الأمر.

وقد صرّح الامام علي (ع) كراراً ومراراً في كتاب نهج البلاغة بأهليته لهذا الأمر وعدم اهلية غيره: «لقد نفتصها فلان وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرضى».

رابعا: هل تتساوى الشروط التي يجب ان يحرزها امام الجماعة مع الشروط التي يجب ان يحرزها خليفة المسلمين؟ لا شك ان شروط امامة الصلاة تختلف كثيراً عن شروط زعامة المسلمين وان هذا الاختلاف هو بدرجة من الوضوح نمتينا عن الخوض فيه. اذن فالمقارنة بين امام الجماعة وامام المسلمين هي - من الأساس - مقارنة خاطئة وان الاستدلال بهذه الطريقة هو دليل واضح على فقدان الخصم للأدلة المقنعة وعجزه عن إقامة الدليل والبرهان.

وفي الختام أود أن اذكر أن البعض أرادوا ان يثبتوا عدالة أبي بكر استناداً إلى هذه الرواية فنقول في جواب هؤلاء:

أولاً: حتى لو فرضنا أن النبي (ص) أقر بعدالة أبي بكر فإن ذلك لا يدل على أهليته للخلافة لأنه ليس من حق كل عادل ان يكون خليفة. ثانياً: ان الشيعة لا يقرّون بصحة صلاة أبي بكر وإن السنة لا يوجبون العدالة لإمام الجماعة أي أن العدالة ليست شرطاً من شروط امام الجماعة عند أهل السنة، اذن ما هو الداعي للبحث والجدل مع الاخر: أهل السنة في الاقرار بصلاة أبي بكر وانكارها.

س: ان اسلوبكم في نقد الشعارات المذهبية الدارجة والدعاء اليها هو اسلوب لاذع، أليس من الأفضل أن نستخدم طريقة المحققين المصندين ونكتفوا بالتحليل والنقد ونكتفوا عن التكت اللاذعة التي لا تطابق الحق أحياناً؟

ج: لقد اشرتم الى موضوعين مختلفين في هذا السؤال: الأول هو ان اسلوبى في نقد الشعارات الدارجة والدعاء لها هو اسلوب لاذع. والاخر هو ان تكتي اللاذعة لا تطابق الحق أحياناً.

(واقطع من كلامكم هو ان تكتي اللاذعة تطابق الحق «غالباً» أو «يشكل عام» أو أحياناً على الأقل).

أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال أي «التكت اللاذعة التي لا تطابق الحق» فانها ليست قابلة للدفاع لأن الشخص الذي يعمم بهذا العمل اما ان يكون عالماً بقيامه بحمل لا يطابق الحق واما ان يكون جاهلاً بذلك اي اما ان يكون مريضاً أو جاهلاً أو أعوذ بالله من أن أكون من المرضى أو الجاهلين والويل كل الويل لي ان لم اميز الحق عن الباطل أو أن تكون حياتي عرضة للأغراض والأمراض بعد ان قضيتها - كما أظن - بالبحث عن الحق والحقيقة. إلا انكم لم تشيروا على الأقل الى نموذج واحد طعنتم به بغير حق بتكتي لاذعة، لكي أعرف ما هو ذنبي وبماذا علمي أن أقرّ وعن أي شيء علمي ان ادافع؟ انه انهم لم يذكروا فيه مورد التهمة. اذن هل سيكون الحديث عن هذه التهمة نافعاً؟

أما الشق الأول من السؤال فهو استفسار عن سبب استخدامي لهذا الاسلوب اللاذع في نقد العادات والتقاليد الباطلة - وهو انتقاد صحيح - فعلمي ان أنساءل: ألا يبرز «بطان» هذه العادات والتقاليد اسلوبى الحاد واللاذع في النقد؟

بالطبع انني اعلم ان هذه الطريقة لا تتناسب مع كل زمان ومكان وهناك مجالات علمية كثيرة يجب على الباحث ان يتبع فيها طريقة علمية محضة بعيداً عن الفسجة والتطرف والمواقف .

فلو كنت فيلسوفاً مثلاً وتباحثت مع فيلسوف آخر في موضوع تقدم الوجود على الماهية أو موضوع حدوث العالم وقدمه ، ولو كنت صوفياً بيدي وأياً جديداً في موضوع النزاع القديم بين المشائين والاشراقيين في تعاوض العقل والعشق ، ولو كنت فقيهاً وحاولت مثلاً اصداق فتوى جديدة في عدم حرمة الخمر ، ولو كنت ادبياً وكنت في موضوع وجوه الاقتران بين الفن والأدب ، ولو كنت شاعراً وتحدثت الشعر القديم وطريقة شعرنا المعاصرين (القدماء) الذين لا بدوكون عصرهم ومجتمعهم ، ولو كنت مفسراً للقرآن وأشكلت على أكبر المفسرين من القريين ، ولو كنت واعظاً وصرحت ان الموعظة يجب ان تتبع اليوم الطريقة العلمية في التعليم والتربية وعلى الواعظ أن يكون مسلماً يعلم النفس والاجتماع والأدب وفن الاعلام والملاقات الاجتماعية وعليه ان يترك الطريقة القديمة المملئة في الوعظ ، ولو كنت مهندساً معمارياً أو مؤرخاً أو غير ذلك . بطبيعة الحال كان علي ان اتخذ الطريقة العلمية في التحقن كي لا يحترق القدر والعساء ولا نمش كلماتي احداً بسوء فيعظم فدوي بين العلماء .

ولكن ما علي أن أفعل ؟ فاننا لست محققاً علمياً بل كائن ضعيف.

يرهقني ثقل التعذيب والشهادة لعنات السنين من التاريخ كحبة فمخ صغير بين مطرقة الاستصاوغ الخارجي وسندان الاستحصار الداخلي القاسيين . فكيف يا اخي تريد مني ان اكون محققاً فاضلاً محترماً مؤذياً مؤخر؟!

عندما ذهبت الى مصر لمشاهدة الاهرام لم اذهب الى قبر الفراعنة . كما يفعل المحققون المحترمون - بل ذهبت الى فجو الآلاف من العبيد الأفاوة الذين ماتوا تحت السياط وهم يتقلون الصخور العظيمة من اسوان الى القاهرة فكان يموت منهم يوماً المنسرات والمئات ويدفنون في هذه القبور الجماعية . عندما جلست على قبور هؤلاء الأخوة شعرت انني اتحدث معهم . فكنت اشلو على فيوهم مأساة خمسة آلاف عام من الجوع والظلم والخوف والمشقة وكانوا ينحبون معي مأساة حبانهم الشودام...

قلت لهم: اخوتي مضي خمسة آلاف عام وانتم تاتون في هذه القبور إلا اني كنت طوال هذه المدة اعيش هذا التاريخ الأسود مع الفراعنة والقيصرية والأكاسرة وامثال قارون ويلمع بن باعوا ، . واليوم تجأت الى بيت فاطمة المهجور هرباً من اولئك الطواغيت وتلك القصور والمعابد والخزائن فوضعت رأسي على جدار هذا البيت ولم يخدعني حقد الف وابعمته أي كافر ومسلم فإن في هذا البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين وزينب..

إلا أنني أرى فوماً جعلوا من هذا البيت حانوتاً لمصالحهم وجعلوا من هذه الكلمة - الفيلة التي حوّرتني قبل خمسة آلاف عام من الزنى والجور والجهل - قاعدة للجور والجهل. ثم تأتي أنت وتطلب منّي انتهج الطريقة العلمية الهادئة اللطيفة الناعمة المنرفة في تحقيقي؟!

إن منطق إنسان شيعي منطقي هو ليس منطق ابن سينا والغزالي والمحقق والمستشرق بل هو منطق أبي ذو الذي شجّع بمظم البعير رأس كعب الأحمار في محضر عثمان! إن النزاع يا أخي ليس على «نظرية علمية» بل على ميراث عبد الرحمن بن عوف.

س: لقد اشدنم في الكثير من كتبكم من قبيل: «معرفة الاسلام» و«فاطمة هي فاطمة» و«التشيع العلوي» و... يدور علماء الفسحة (الروحانيين) واشترت إلى فلسفة وجودهم والخدمات التي قدّموها إلّا أنكم انتقدتم في الوقت ذاته وفي مواضع أخرى النظام السائد في المجتمع العلماني وتحدثتم في هذا المجال بشكل مطلق ولم تستثوا بعض العلماء والمؤسسين والفضلاء والطلاب من انتقاد انكم الحادثة لما إذا هذا التناقض؟ الاشارة والمدح احبائنا والمؤم والذم احبائنا اخرى؟

ج: يجب أن نتفق على معنى كلمة «الروحانية» ونعين مصاديقها في البداية ثم نتطرق إلى الآراء والانتقادات الواردة في هذا المجال. اني اعتقد ان كلمة «الروحانية» ليست مصطلحاً اسلامياً ولا شيعياً بل هو مصطلح مسيحي دخل اخيراً في مفرداتنا اللغوية، فلم نرد في

نصوصنا الاسلامية كلمة بهذا المعنى بل ان المصطلحين اللذين يستخدمهما المسلمون بدل «روحاني» و«جسماني» هما «المالم» و«المسلم». اذن علينا ان نستخدم كلمة «العالم الاسلامي» بدلاً من كلمة «الروحاني». من هو العالم الاسلامي؟

انه - حسب رأيي - الشخص الذي يعرف القرآن في الدرجة الأولى ويعرف النبي (السيرة والحديث والسنة) في الدرجة الثانية ويعرف أهل البيت وسيرة الانمة والصحابة وشخصيتهم في الدرجة الثالثة ويعرف الثقافة الاسلامية في الدرجة الرابعة ويكون متخصصاً في إحدى العلوم الاسلامية؛ الفلسفة الاسلامية، ناوليخ الاسلام، علم الحديث، علم الرجال، علم الاصول، الفقه وغيرها في الدرجة الخامسة (وان كان الترتيب الحالي شيئاً آخر). اما الشخصيات «الروحانية» المحروسة المدللة المقدسة التي تنتج نوراً لكنها لا تعرف شيئاً ولا تحيط علماً بأي شيء.. فاني عاجز عن معرفتها ولا جدوى من أن ألوم نفسي على ذلك. فما يوسمي ان افعل؟ ان الله تعالى لم يبطني هذه الشابلية لأفهم قائدة هؤلاء وإن كان عوام الناس يقدّونهم ويقدسونهم أكثر من اولئك الذين ذكّرتهم في مستهلّ حديثي. انني اسقي هذا النوع من رجال الدين «الروحانيين» (لأنه لا يوجد اسم محترم آخر ليس له دلالة على أي معنى). أرجو ان لا نلوموني على هذا الرأي لأنني ضغظت على نفسي وحاولت كثيراً ان اعتقد بهذه الشخصيات المحترمة

لكني لم ألتجع في ذلك قياساً من نفسي، أما بالنسبة لعلماء الإسلام فأريد أن أدعي هناك المشرات من الدلائل والقرائن على إثبات هذا الادعاء بأنني فخور بكوني دافعت بصدق وبشكل فكري وعلمي مؤثر وأكثر من أي شخص آخر من العلماء والخطباء والكتاب المعاصرين عن هذه الجماعة العزيزة التي تعدّ أملاً كبيراً ورأساً عزيزاً لنا . وأما الأدلة على ذلك :

١ - عندما تحدثت في سلسلة دروس «معركة الإسلام» عن حذف الوسيط في ارتباط الإنسان مع ربه في الإسلام، سألتني بعض الطلبة عن دور علماء الدين في المجتمعات الإسلامية فقلت إن علينا أن نميز بين الأمر الرسمي القانوني والضرورة التي تقتضيها الحاجة، ثم أجبت على هذا السؤال قائلاً: إن الفاصل الزمني الذي فصل المسلمين عن صدر السلام والتطور والتفديد في العلوم والمعارف وخصوصاً علم الفقه والتشعب في الفروع والمذاهب الإسلامية واختلاط عقائد المسلمين مع عقائد وتقاليد الشعوب الأخرى وتمدد الفروع والحقول العلمية في المجتمعات الإسلامية المتطورة، جعل من الضروري أن يركز البعض أنفسهم للدراسة والتحقيق في شتى مجالات العلوم والمعارف الإسلامية لكي ينسحق للآخرين (الذين شغلهم مجالات العلم والحياة الأخرى عن ذلك الحفاظ والحصول عليها من مصادرها الرئيسي أي النبي والائمة (ع) أو لم يكن لهم الكثير من الوقت للتفرغ

لتعلم الدين كما كان يفعل ذلك المسلمون الأوائل في صدر الإسلام) أن يتعلموا العقائد وأحكام الدين من هؤلاء المتخصصين. وقلت إن هذا الأمر هو ضرورة اجتماعية وعلمية ثم فارت بين المنصب الرسمي والمنصب الضروري وشبهتهما بالحراس الذين يختارهم الناس في بعض الحارات لحراسة منازلهم شعوراً منهم بضرورة ذلك والحراس الذين تعينهم الدولة وتطيحهم صلاحيات خاصة بزي خاص ودرجة رسمية معينة. وهذا هو الفرق بين العالم الإسلامي والنفس المسيحية.

٢ - ذكرت في كتاب «الانتظار» نقلاً عن (ونسان مونته) أن طالب العلوم الدينية هو يرويليتاري فكري، وقلت إن هؤلاء المجاهدين السائرين في درب العلم والإيمان الذين لا يتجاوز تفكيرهم عن نفقة طير أمريكي كزسوا حياتهم وشبابهم لتعلم الدين في الوقت الذي يختار فيه طلبة الجامعات حفر لهم الدراسات على أساس الدخيل المستقبلي المتوقع لهذا القسم الدراسي أو ذاك .

إن طالب العلوم الدينية يقضي عمره الدراسي بزه لا بكار يصدق ولا يوجد أي ضمان لتأمين حياته بعد انقضاء الدراسة والتخرج ولا ينسلك أي امتياز من الامتيازات الطلابية العادية إلا أنه وبالرغم من كل ذلك ينهج هذا الطريق بصبر وإيمان ورفاء لا يوصف .

٣ - قلت في إحدى المحاضرات الطلابية العاشة في حسينية الإرشاد مخاطباً الطلبة الجامعيين: إن أمني بطلية العلوم الدينية هو أكثر

منكم بالنسبة لمستقبل هذه النهضة الفكرية ونوعية الناس وأحياء وروح الاسلام الأصيل وبعث روح الرفض والعدالة التي تتجلى في التشيع العلوي لأن حياتكم الفكرية قصيرة جداً ولا تتجاوز الأربع أو السبع سنوات، بعدها سيخلفكم روتين الحياة وستكونون بشكل لا إرادي في مخالفة الطبقة البرجوازية. أما طائفة العلوم الدينية فإن عمر مسؤوليها الاجتماعية يساوي كل حياته فهو يشعر بالمسؤولية حتى الموت نجاه عفائد الناس ومصيرهم .

٤ - لقد أنشئت في دراسني للجذور الطيفية في «الحوزة» و«الجامعة» إن أكثر من ثمانين بالمئة من الجامعيين (الطلبة، الموظفين والاساتذة) ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الساكنة في المدن وخمسة بالمئة منهم ينتمون إلى طبقة الاقطاعيين الفرويين. أما الحوزيون (العلماء المراجع، المدرسون والطلبة) فينتهي خمسة بالمئة منهم فقط إلى الطبقة المتوسطة الساكنة في المدينة (البرجوازية الصغيرة والكسبية الصغار) ويتنسب أكثر من تسعين بالمئة منهم إلى الجماهير الفروية المحرومة وأبناء القلاحين والملاهي القرويين. وينضن هذا التحليل نتائج اجتماعية وفق تقييم اجتماعي مفصل وشامل.

٥ - لقد أحصيت في رسالة تحفية كتبها لوزارة العلوم وفي مقالة «الصحراء» - كوبري - أيضاً الموارد التالية لرجحان الطريقة التعليمية التربوية الحوزوية على الطرق الأكاديمية:

١) اختيار الاختصاص العلمي على اساس القسمة الفكرية لا الدخول الاقتصادي.

٢) الشعور بالمسؤولية الاجتماعية التي تتناسب مع الاختصاص الدراسي منذ اللحظة الأولى من الدراسة.

٣) اختيار الأستاذ بمرجة نائمة على اساس لياقته وفيمنه العلمية.

٤) ضرورة احتفاظ الأستاذ بوجهته العلمية والاخلاقية.

٥) وجود علاقة المريد والمراد بين التلميذ والاستاذ.

٦) الطريقة التطبيقية المدرجة.

٧) رواج «المباحثة» بين الطلبة بعد كل درس .

٨) حرية الحضور في الصفوف وعدم التنفيذ بالمظاهر والشكليات الممنعة والادارية الجافة التي تشكل عائقاً دائماً في طريق كسب العلم.

٩) مجانية التعليم.

١٠) امكانية مواصلة الدراسة لعموم الناس بجميع اعمارهم

وطبقاتهم وظروفهم.

١١) اعطاء المنح الدراسية وتأمين السكن والامكانيات

الدواسية لكل طالب.

١٢) اندماج الاخلاق مع العلم بشكل طبيعي.

١٣) الاتصال الدائم بالجماهير.

١٤) قبول مسؤولية القيادة الفكرية والهداية الاجتماعية للناس.

١٥) العلاقة الوحيدة بين الابدولوجية والعلم.

١٦) وجود «ثقافة مشتركة عامة» و«جهة واحدة» و«تسنيق

كامل» بين الفروع والافسام العلمية المختلفة رغم تعددها ووجود التخصص فيها.

١٧) الاتصال بالماضي التاريخي والثقافي والمفائدي (الشيء

الذي لا نراه في الثقافة الجديدة).

١٨) عدم وجود أي شكل أو قالب ظاهري في تفهيم الدوحة

العلمية للطلبة والاساتذة وتفويض هذا الامر للناس والاعتماد على

كفاءة الشخص الذاتية وفيهته الفكرية وكعالمه العلمي بدلاً من دوائر

التوظيف وفوائين الترفيع التلقائي (التي شتهنها في كتاب الصحراء^(١))

بأجاص يتخارى الذي يتقع في الماء فيصيح مساعد المدرس بعد اربع

سنوات ويشكل انومازيكي مدرساً ويصبح المدرس الجامعي بعد

خمس سنوات اساتذاً...).

٦ - ذكرت في كتاب «التصحيح العلوي» والتشيع الصفوي» ان علماء

الشيعة رفعوا دائماً وعلى مدى ألف عام من التاريخ الاسلامي رايات

(١) كوير.

الثورة على الظلم وكانوا من المدافعين عن الحركات المطالبة بالعدالة والحرية الاجتماعية وحاكمية العلم والتفوى، وقد حرض علماء الشيعة الناس دائماً على مواجهة أنظمة الغلابة الاستبدادية الارستقراطية والحكومات التابعة لها وكانوا دائماً في طليعة الحركات الجماهيرية الثورية، وخير شاهد على ذلك حركة المعومين^(١) في القرن الثامن الهجري.

٧ - ذكرت في كتاب «تاريخ الأديان» ان علماء الشيعة هم أنز، قنذ أو طبقة روحانية بين جميع الأديان والمذاهب في الماضي والحاضر.

٨ - ان التفوى والورع والاتصال الدائم بالجماهير والوقوف بوجه القوى الحاكمة - أو الالتماد عنها على الاقل - هي من الخصائص الطبيعية التي يمتاز بها علماء الشيعة على رجال الدين في المذاهب والأديان الأخرى لأنهم يعتمدون من الناحية الاقتصادية والاجتماعية على الجماهير لا على الحكومات.

٩ - ذكرت في كتاب «الاستنظار ومذهب الرقص» ان هناك اشخاصاً يتحلون الوي العلمائي بنخطيط و تأمر القوى المعادية للناس مستغلين بذلك عصر الفسقة وأصل تباية الامام (ع). ان هؤلاء

(١) سرمد اراق.

الانتحاليين قد يحصلون بمساعدة تلك الأباذي الأتيمية السرية والمثبنة على مقام ووحائي أو وجهة مصطنعة أو مرجعية كاذبة بغية الإساءة إلى الوجوه العلمانية الحقة والتقليل من شأنها ودورها المحوري في المجتمع.

١٠- نص الحديث الذي تحدثت به في بداية الدوس السابع عشر من سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ودأ على تعدد غير لائق أوود، السيد (مكارم) في مجلة «في وسالة الاسلام»^(١) في البداية لم أكن أوغب في الرد إلا أنني شعرت ان الطلبة الذين يعرفون دروسي وأرائي جيداً استمربوا كثيراً من الاسلوب والاخلاق وادب الكتابة في هذه السجلة الدينية المنسوبة الى علماء الدين فأريت من الضروري أن ادافع عن الحوزة العلمية قبل أن ادافع عن نفسي فقلت آنذاك:

أولاً: إن طريقة التفكير واسلوب الكلام في تلك المقالة يخضع صاحب المقال وليس له أي علاقة بعلماء الدين (وهذا ما أفعله دائماً عندما أواجه أي تهمة أو شبهة من الملبسين بالزعم العلماني المقدس لأني أعرف جيداً أثرها السلبى بين المحكرين لذا أسعى دائماً إلى نيرة علماء الدين من هذا الانتساب).

ثانياً: أن أي معترك ومهمة في هذا المجال نوجب صرف

الأذهان عن الحقائق، لذا أن واجبتنا هنا هو الصمت والصبر تجاه هذه الشتائم والنهم. من هنا اضطرت أئذاك الى التذكير ببعض الأمور، وأود أن ينلقى الجميع هذه التذكرة كرهة أود به على كل نهج من هذا القبيل وكراي خاص بي نجاء علماء الدين والحوزة العلمية الدينية أما نص المقدمة فهو كما يلي:

«السؤال الثاني التي تعتبر مسألة مهمة للغاية هي أن البعض يحاول بشنى الاساليب ان يصووننا للآخرين بأشياء فسة او أشخاص مناوون لعلماء الدين قبيهمون علينا نعت هذا الغطاء والقاية من ذلك هي اتاوتنا للتهجم على العلماء، دفاعاً عن اقتسنا لكي يستنلوا هذا التهجم ويشجعوا بين الناس ان هنالك فسة او جماعة من المفكرين تخالف علماء الدين. هذه هي غايتهم، وعلينا ان نصبر تجاه هذه الاستفزازات والنهم الفراهية ونضع الأمر امام الآخرين ليحكموا عليه لكي نحيط هذه المؤامرة القذرة من هنا اوريد ان أقول ان شخصاً مثلي (يتحدث بهذا الكلام ويحمل هذه الآراء ويفكر بهذه الطريقة) قد لا يتفق مع عالم ديني في بعض المسائل ويتخذ طريقته في التبليغ الديني او طريقته في تحليل بعض القضايا ويختلف معه في الكثير من الامور - وان كان ذلك العالم عالماً وشياً حقيقياً - الا ان هذا الخلاف هو خلاف الأب والابن في الامر الواحد، ولهذا اسعى ان لا أجيء هذا الخلاف العائلي بين جيلنا والجيل السالف الى الأوتة والأسواق لكي لا يستغل

العدو - عدو هذا الجيل والجيل السالف - هذا الخلاف لصالح اغراضه وأطماعه.

١١ - ذكرت في سلسلة دروس «معرفة الاسلام - حسينية الاوشاد» ان رابطة الطلبة الايرانيين المبعين في فرنسا - التي كانت تديرها بعض الأيدي آنذاك - تطلعت ذات مرة اجتماعاً حضره السيد جهانگیر نفلي. وقد تحدث في هذا الاجتماع السيد رزم أرا وتهنئتم خلال حديثه على علماء الدين بإلفاظ من هذا القبيل: «في إيران، عندما أمر من امام مسجد أو أسمع صوت واعظ يتحدث ندهور حالتني الصحية ريسنا، مزاجي، اني اكره هذا الدين ونشتمز نفسي من رجاله، ان هؤلاء الملاي هم السبب في شقاء البلاد وبؤسها وهم الفاعدة الرئيسية التي يركز عليها الاستعمار...».

أردت ان اتحدث الا انهم منحوني من الحديث. انتظرت وصول الدور لي لأتحدث لكنهم لم يراعوا الدور، فما كان بوسعي إلا أن افرض نفسي على المجلس برفع صوني فقلت: اني استغرب من حديث السيد... لأننا لو راجعنا اليوم القبائل الافريقية البدوية لرأينا جميع افرادها يعرقون هذا المبدأ الاخلاقي الحضاري المسلم الذي يفرض علينا احترام عقائد الآخرين وآرائهم. اني استغرب من كونكم نعيشون في عاصمة الحضارة وحرية الرأي واحترام عقائد الآخرين ولم تتأثروا بهذه الحضارة اي تأثير؟

ان الدعوة للحضور في هذا الاجتماع هي دعوة عامة اذن انتم نحتملون حضور اشخاص مثلي لم يستقروا بعد الى درجة تجعلهم يهتمون كلامكم فكيف نسمحون لأنفسكم بالاساءة الى عقائده اشخاص مثلي؟ ثانياً ان الدين ليس قطعة من الحلوى كي تتحدثوا عنه كما تتحدث الوحى المفتاح الى زوجها فما معنى قولكم «نحن لا نحب الدين»؟ ثالثاً: انكم تقولون ان الملاي كانوا قاعدة للاستعمار، لكن هذا الكلام هو مسألة رافعة وتاريخ وليست مسألة ذوق كي يتسنى لكم التحدث عنها كيفما تشاؤون، بل عليكم أن تأنوا بما يبرهن على ذلك. فحسب ما تقيد معلوماتي ان جميع الاتفاقيات الاستعمارية الموجودة رقت على يد الدكائرة والمهندسين واصحاب الشهادات العليا الذين اكملوا دراساتهم في الجامعات الغربية. فان استطعتم ان تأنوني بتوقيع احد هؤلاء الملاي الذين نخرجوا في جولة التجف لاهقت معكم في الكلام وشاطر لكم هذه العبولة، إلا اني أرى العكس هو الصحيح لأننا نرى وجوهاً لبعض هؤلاء الملاي أر على الأقل رجلاً واحداً لهم في طلبية كل نهضة منارئة للاستعمار وفي مقدمة كل حركة تورية تقدمية تطالب بالاستقلال ابداً، السيد جمال واليرزا حسن الشيرازي وحتى رجال ثورة الدستور...

١٢ - لقد دافعت بكل وجودي عن علماء الدين ودرورهم الاجتماعي خلال فترة تواجدي في أوروبا (من عام ١٩٥٩ حتى عام

(١٩٦٤) ونصّدت لجميع التهم الموجهة لهم وكان هذا متراساً مع اتفاق أغلب الفئات المتنازعة على التئيل من حزنهم ودورهم الاجتماعي. فقد دافعت عن علماء الدين في الأوساط الفكرية الأوروبية وفي أوساط الطلبة الإبرانيين بشكل مؤثر مستخدماً لذلك شتى الأساليب والطرق كالمحاضرات والتفاوير والدوايات العلمية في علم الاجتماع الديني. وهذه هي حقيقة لم أنحدث عنها أبداً لأنّ الخوض فيها يستلزم نوعاً من الحجب ومدح الذات وما ذكرناها هنا إلاّ تأكيداً لتأييدي لهذه الجبهة ووقوفي بجانبها وهذا ما يعرفه كلّ مطلع على الأوضاع قسب خارج البلد.

هذا هو رأيي في علماء الدين وذلك هو رأيي في «الروحانيين» (بالمعنى الآخر)!

والآن علينا أن نتساءل عن مصدر هذه الاشاعة التي تستهدف بمخالفة العلماء والحوزة العلمية وللأجابة على هذا السؤال عليّ أن أقول:

أولاً: إنّ الفاسطين يخططون ليدو التفرقة والتناق والتناؤم بين المعتنق والمعتنق والحوزة والجامعة والطالب الجامعي والطالب الحوزوي والخواص والعوام وأنّ الشيعي الوحيد الذي من شأنه أن يبطل هذه الخطة هو عدل «جماعة من المعتنقين المتدينين» على بناء جسر يصدّ هذه الفجوة الكبيرة.

فالبرم يجلس الطلبة الجامعيون والحوزيون جنباً إلى جنب في حسيبة الاوشاد ويرجع المعتنقون - ولأول مرة - إلى علماء الدين ويقفون إلى جانب الجماهير وهذا أمر لا يروق للفاسطين. لذا نراهم يخططون دائماً لإثارة الضجة وزرع الفتنة بين الفريقين بمشئ الوسائل والأساليب كالزور والتزوير والشتم والافتراء والتهمم والاشاعة وحتى الكلام الفاحشي والظعن بالأعراض.

ثانياً: عندما فزوا التهمم علي وعلى حسيبة الاوشاد رفعوا شعاراً فجاً وغير مدروس في ساديء الأمر. فالتمبص الذي وفعمه لبوحوا للناس انه تمبص علي سرعان ما ظهرت حقيقة كونه تمبصاً لمنان فقد اختاروا في البداية ومن بين التهم الموجودة كالانتماء إلى النصرانية واليهودية والبابية والشيوعية والوجودية والشيوعية والصوفية وغيرها. اختاروا أكثر هذه التهم تأثيراً في عواطف الشيعة في إيران فأتهموني بالانتماء إلى اسوء المذاهب السنية أي المذهب الوهابي وكان هذا الاختيار صائباً من هذه الناحية إلاّ أنّ الشيعي الوحيد الذي لم يكن في حسيبتهم هو عدم التصاق هذه التهمة وغم استخدام الأطنان من صمغ الدجل والسفطة.

عنموا بلاغاتهم على جميع الشعب والفروع وسرع عملاتهم بإشاعة هذه التهمة ولكن ولحسن الحظ وبمساعدة حسيبة الارشاد واهتمام جماعة من الزملاء تم استتساخ وطبع الدروس والمحاضرات

وحتى اشربة الكاسيت التي سجلت عليها معاضراتي، وقام الطلبة في كل المدن والكلبات باستساح هذه التناجات وتوزيعها على قدر استطاع شعوراً منهم بالمسؤولية تجاه ذلك وهكذا عرضت افكاري (عن التشيع واهل البيت والائمة ولا سيما علي و فاطمة والحسين والامام الموعود (ع) على اصحاب الفكر والفلم وغاب أمل الأعداء وأصبح طرح هذه التهمة في أقصى المساجد والحسينيات وحتى في مجالس الغراء التي تعدها النساء في البيوت امراً لا يجلب لصاحبه إلا الخزي والعار أو لظمة على الأستنان. لكنهم لم يكتفوا بهذه التهمة فاستبدلوها بتهمة أخرى ورفضوا هذه المرة شعار مخالفتنا لعلما الدين. قالهم هو استنواذ العلماء ونحريكهم وتحريضهم ضدنا سواء أ سئمتهم المخالفة للتشيع أو المخالفة لعلما الدين!

بيد أنهم أخطأوا في حساباتهم مرة أخرى فكيف يمكن للتهمة التي لم تؤثر في عوام الناس ان تؤثر في علمائنا المفكرين الذين يراعون في حكمهم على الأمور المعايير العلمية والشروط الفقهية والمنطق؟

وهكذا جاءت خطتهم الثانية بالقتل أيضاً ليشروعوا بالبحث عن ضياع عثمان آخره الا ان علماءنا الاعلام ووعاظنا الأفاضل وطلبتنا الواعين انتبهوا ولحسن الحظ وخصوصاً بعد اشاعة التهمة الثانية الى فلسفة هذه المؤامرة وعرض الأعداء منها. ونحن أيضاً شعرنا بخطورة

الموقف أكثر من ذي قبل فأخذنا نخطو خطواتنا بحيطه وحذر وكان هذا الشعور المشترك هو السبب في تقاوتنا والتعرف على بعضنا فتملأنا من خلال هذه المعرفة دواوساً كثيرة، فما أكثر العلماء والقضلاء والخطباء والمندبين الذين كانوا يشككون بإخلاصنا وصحة وؤيتنا أو طريقتنا في التفكير والعمل متأثرين بالدعايات المشويه والأجواء السامة وحملات التزوير والانهاام وما أكثر المفكرين والعقائين الذين كانت لهم مشاعر سلبية تجاه علماء الدين تحت تأثير ابراف الدعابة المشويه. لكننا نرى اليوم مشاهد مثيرة ومفعمه بالعواطف والاخلاص من الانتباه الى انفسنا والابحان ببعضنا وازاحة الغبار والصدأ عن قلوبنا ونوطيد أواصر اخوتنا.

من: ان طريقتكم في الكتابة والتعبير تشييب الغموض والابهام للبيض فيما يستغلها البعض الآخر ممن يعمل افكاراً خاصة لصالح ترويع أكتاوه كما يستغل طريقتكم هذه بعض المعرضين الذين يترصون الفرص دائماً كي يشوشوا أذهان العوام من الناس بل الغواص منهم ممن لم يمتدوا على المراجعة والتحقيق في المسائل التي يسمعونها. فهل لكم ان نبذلوا طريقة تعبيركم هذه بشكل تسليو في امكانية الإساءة في تفسيرها وتأويلها؟

ج: أعنفد ان من المستحيل ان يبلغ خطيب أو كاتب - مهما كانت مهارته وثقافته وأدبه واحاطته بعلم اللغه - هذه الذروة من الأدب بأن لا

يكون في كلامه أي إيهام لأي قارئ أو مستمع مهما كان مستواه أو نوع تفكيره وثقافته وسد الطريق على أي مفروض كي لا يحترف عبارة من عباراته. ففي الوقت الذي نرى فيه القرآن وهو كلام الله تعالى يزول لمقاصد وأغراض عديدة وبخلاف العلماء المفكرين البارزين في فهمه وتأويله ويستبطن كل فريق وفئة وطائفة من كل آية من آياته ما لا يستبطنه الآخرون، كيف يمكن لكاتب أو خطيب عادي أن يتحدث أو يكتب بطريقة لا يمكن تأويلها وتحريفها؟

من هنا أريد أن أقول إنه كلما ازدادت الفكرة عظيمة وكلما ازدادت المعاني ظرافة وكلما ازدادت المشاعر سموً وكلما ازداد الكلام جمالاً وبداعة، سيزداد معه أيضاً احتمال سوء الفهم والابهام والالتباس، والاختلاف في درك المفاهيم، والتناقض في الاستنباط وأنواع الأغراض والأمراض.

من حوار أحد الطلبة الجامعيين مع الدكتور شريعتي

الطالب : لقد انعكس تصويركم في الأذهان كتصوير «مفكر ديني» فهل أنتم راضون عن هذا التصوير؟

شريعتي : لو عرفكم أحد بكلمتين مجهولتين، فهل سيرضحكم هذا التعريف؟

الطالب : إن معنى هاتين الكلمتين بسيط وواضح بالنسبة لنا. فالمفكر: هو الشخص الواعي الذي يخوض في مجال الفكر، والديني: هو الذي يؤمن بما وراء الطبيعة كالأيمان بالله مثلاً...

شريعتي : لو آمن أحد عملاً فكرياً (كالمحاسبة مثلاً) لكنه لم يكن واعياً فهل سيكون مفكراً؟ ولو كان واعياً ولم يعترف عملاً فكرياً فهل سيكون «غير مفكر»؟ وإن كان يؤمن بالله ولا يؤمن بما وراء الطبيعة فهل سيكون «غير ديني» وإن كان يؤمن بما وراء الطبيعة ولا يؤمن بالله (مثل بودا وهيغل) فهل سيكون دينياً؟

الطالب : يبدو أن المسألة ازدادت صعوبة...

شريعتي : كما نلاحظون أن المسألة ليست بهذه البساطة. فغالباً ما يحصل سوء الفهم بسبب مرورنا على المسائل من الكرام، فأتينا

ننزعنا على الحقائق وكأننا نلصق في سبرنا المنطقي في العملية الفكرية. فالكلمات التي نستخدمها لاستنباط مقاصدنا وتتل ما في اذهاننا غالباً ما تكون مبهمة لنا وللمخاطبين. أو غير متفق عليها من قبل طرفي الحوار على الأقل. لكننا على الرغم من ذلك نرى أن الحوار يجري بشكل طبيعي بدون أن يشعر أي طرف من الاطراف بعدم الاتفاق على الكلمات التي يستخدمونها. والأغرب من ذلك هو أننا نرى في بعض الأحيان أن المفاوضات والمباحثات تجري على ما يرام ونسفر عن نتائج متفق عليها في ظاهراً الأمر ولكننا لو أمعنا النظر في هذا الاتفاق لرأينا أن الجانبين قد اتفقا على كلام لم ينفوا على معناه. والسبب في ذلك هو أن جانبي الحوار لم ينفوا فوقاً كاملاً على معنى الكلمات الأساسية التي تبادلوها في حوارهم بل اكتفوا بالمعنى الاجتماعي لتلك الكلمات. هاتان الكلمتان (المفكر والديني) هي من هذا النوع من الكلمات.

الطالب : ألا تعتقدون انكم انتقلتم الى مبحث الألفاظ ؟

شريعتي : بلى لأن الألفاظ هي الأدوات الوحيدة لبيان الأفكار وقبل كل شيء علينا أن نتأكد من دقة وصحة أدوات عملنا .

الطالب : على أي حال ماذا نعني هاتان الكلمتان (المفكر الديني) بالتمية لكم ؟

شريعتي : اني اعتمد أن الدين هو بمعنى «المعرفة بالذات =

(conscience) خلافاً لما نعني «الفلسفة» أو «العلوم» أو «الصناعة» التي تعتبر نوعاً من العلم (science). والمفكر هو الشخص الذي يبي الأزمان والمجتمع والتقدير التاريخي والعلاقات الاجتماعية والمواجهات والجهات والمصير الاجتماعي الخاضع به. وبعبارة أوجز : المفكر هو الشخص الذي يبي «الوضع» أو «الحيثية» الاجتماعية الخاصة به (situation social)^(١) وهي التي يستلها الاسلام «القطرة» وهي التي يفصدها اذلاطون عندما يعزف الانسان يأنه «حيوان سياسي»^(٢).

نعم، بهذا المعنى انا راض عن عبارة «المفكر الديني» واشكركم عليها ! ولكن علي أن أقول اني لست مفكراً دينياً بل احنى واسعى لاكون مفكراً دينياً. فاني ما زلت اسير في بداية هذا الطريق. اقول هذا كي لا يتهموني بالعجب والنطرس.

(١) لمزيد من الاطلاع يرجى مراجعة كتابي «الطريق الثالث» و «مسرفة الذات والاستعمار» للمؤلف.

(٢) لقد ترجم هذا التعريف (الانسان حيوان سياسي) بالمعنى الاعتيادي (الانسان حيوان اجتماعي) في حين تعتبر التحلة حيواناً اجتماعياً ايضاً. ان الميوان السياسي هو الحيوان الذي يبي المجتمع الذي يعيش فيه وينسب - بوجهي - بالنصير المشترك وأواخر الاشتراك التي تربطه بمجتمعه ولذا عزفنا الانسان بأنه «حيوان متعصب». ولا ننسى أن السبب الذي جعلنا نرسم للتعصب تصويراً مبنياً في اذهاننا هو أننا نرى غالباً التعصبات السببية فالتعصب في حد ذاته ليس أمراً مبنياً. التعصب - كالتعصب - هو الانتماء الي القضية بمعنى الجماعة وهو الشعور بالانتماء. والارتباط بالجماعة.

الطالب : لقد ذكرتم في العبارة الأولى من مقدمة سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ان الدولة العثمانية هي رمز للاقتدار الاسلامي (معرفة الاسلام ص ١٢) في حين يعلم الجميع ان هذه الدولة هي دولة فاسدة ولا يليق بها ان ننسئ دولة اسلامية.

شريعتي : ولهذا السبب كتبت في العبارة الثانية وفي الصفحة نفسها: «ان الهزيمة العثمانية لم تكن هزيمة سياسية وعسكرية فحسب بل كانت بمثابة سقوط الثقافة الاسلامية واستهلاك لثوى المسلمين الروحية والفكرية فقد جعلت الدولة العثمانية - من الدين مادة افئوتية نخدر بها الجماهير وجعلت من الاسلام طليعاً يحافظ على الارستقراطية وقاعدة عريضة يرتكز عليها سلطان المستعمر التركي. (معرفة الاسلام ص ١٢)

الطالب : لقد علق احد السادة اخيراً على عنوان كتابكم «مسؤولية الانتماء الى مذهب النشيج» بأن اختيار هذا العنوان يكشف عن مدى حقدكم على المذهب الشيعي. فما هو تعليقكم على ذلك؟
شريعتي : انا لله واتا اليه راجعون .

الطالب : قد يشعر البعض من خلال مطالعته لكتابي الصحراء (كوير) ودرس (بوذا) الذي نشرتموه ضمن مجموعة دروس «نار يخ الاديان» ومن خلال رواية بعض الطلبة الجامعيين الذين حضروا دروسكم في جامعة مشهد وانراوهم بأنهم كانوا ينتظرون بشدة

وئسبون أنفسهم اثناء تدريسكم لموضوع «بوذا»... قد يشعر البعض انكم معجبون جداً بالدين البوذي؟

شريعتي : نعم فأنا «سني المذهب» «صوفي المذهب» «بوذي» ذو نزعة وجودية» «شيعي» ذو نزعة دينية» «مغرب ذو نزعة وجمعية» «وافي ذو نزعة خيالية» «شيعي ذو نزعة وهابية» وغير ذلك (اللهم زد وياوك).

الطالب : لماذا لم تردوا لحد الآن على الانتقادات والتهجمات التي استهدفت كتابكم ومحاضراتكم؟

شريعتي : لقد تؤنوا اذهان شعبنا دائماً بهذا الضجيج وهذا البراك القارخ ليحكروا صفو الماء ويتصيدوا فيه، لذا لم احاول افتعال اي ضجة لأشوش بها الأذهان أبداً.

بيد ان بعض الزملاء الذين يؤمنون هم أيضاً بهذا المبدأ ارنأوا اقامة ندوة سؤال وجواب ونشرها على شكل ملزمة لتبين بعض الحقائق لمن لا يعرف شيئاً عن برامج حسنة الاوضاع الدراسية والاعلامية والتحفيزية وكتبها المطبوعة ولأولئك الذين أحدثت الأشاعات المتواصلة في أذهانهم انطباعاً خاصاً أو شبهة أو ابهاماً في مسألة ما .

الطالب : اليوم وسط مرور خمسة أعوام على نشر سلسلة دروس

«معرفة الاسلام» هل لديكم أي نقد على «هذا الكتاب»؟

شريعتي: لقد كانت لدي بعض الانتقادات على هذا الكتاب منذ اللحظات الأولى لنشره لأن هذا الكتاب هو مجموعة دروسي الشفهية التي أُلقيتها على الطلبة. وقد طبع هذا الكتاب تحت إشراف الطلبة بدلاً من استنساخه ومن الطبيعي أن لا يكون المعلم واضعاً عن دروسه الشفهية لو تم تدوينها على شكل كتاب، واليوم وبعد مرور أكثر من خمسة أعوام على نشر هذا الكتاب اذكر كلام استاذي غوروين الذي خاطبني معترضاً ذات مرة: «أين كنت تائماً في لحد أم تلاجذ؟».

الطالب: كيف يعرف الناس رأيكم الموجود في كتاب «معرفة الاسلام» في عام ١٩٧٢ وذلك بعد مرور خمسة أعوام على نشره؟

شريعتي: الأمر بسيط جداً ولا يكلف سوى عشرين ريالاً فقط: ملزمة «معرفة الاسلام». الجزء الأول والثاني (طبعة حسنية الارشاد عام ١٩٧٢).

الطالب: ما هي انتقاداتكم الخاصة في خصوص مضامين ملزمة «معرفة الاسلام» القديمة؟

شريعتي: (الف) كان علي أن أطرح موضوع الامامة في مبحث الشورى (ص ٢٨) كي أضع بذلك امكانية اساءة التصرف أو سوء الفهم. فقد اعريت في هذا الكتاب عن مخالفتي لمبدأ «الشورى» و«البينة» (لا

بشكل مطلق بل في موضوع الامام علي (ع) وبعد وفاة الرسول (ص) وقد استعرضت براهين عقلية ونقلية كثيرة في اثبات مسألة «الوصاية» بعد النبي ورجعائها على «البينة» ونقلت قصة الغدير وولاية الامام علي (من ص ٤٢٢ وحتى ص ٤٢٣). ولكن وفور هذا الفاصل بين هذين العنوانين صار سبباً لأن يتهمني البعض بالمخالفة لمسألة الوصاية والغدير رغم اني تحدثت عن مسألة الشورى صفحة واحدة وعن مسألة الغدير عشر صفحات.

(ب) في الصفحة (٥٢٩) ابدت رأيي في موضوع تعدد الزوجات مستشهداً بإعلان جبهة التحرير الجزائرية وأزمة النساء في ألمانيا بعد الحرب العالمية وغير ذلك من الشواهد، فتنطفت الى جواز تعدد الزوجات في الاسلام (بالطبع مع الأخذ بنظر الاعتبار الفلسفة الخاصة والظروف والأوضاع الاستثنائية القردية والاجتماعية) حتى انني وصفت تعدد الزوجات بأنه من الخصائص التي تدل على «الواقعية» في الاسلام. غير ان تعبيري الخاص (في هامش الصفحة ١٢٠) أنار نوعاً من الإيهام رغم تصريحاتي المفصلة في هذا الصدد. تانياً لم تترجم هذه الآية بشكل صحيح في الكتاب: «ولن نستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصنم فلا ننبولوا كل المبل فنذروها كالمعلقة...».

(ج) انتقادي الثالث هو اني اعتمدت ان عتاوين اصول العفاند الاسلامية التي نقلتها عن قريد وجدي في القسم الأول من الكتاب

(١٢٠٣ صفحة الأولى منه) هي عناوين سطحية من حيث المستوى بحيث أشعر الآن أنني قادر على استنباط القواعد الأساسية الإسلامية برؤية أدق وأعمق وأبدع مما نقلته في كتاب «معرفة الاسلام». لقد شعرت بهذه «السطحية» قبل خمس سنوات أثناء كتابة الكتاب أيضاً (وإن لم يكن هذا الشعور يعمق شعوري في هذه اللحظة) لكنني أردت أن أسند الكتاب إلى سند علمي شهير فوقع اختياري على سيرة فريد وجدي. مع كل ذلك وكما نلاحظون أنني نظمت عن فريد وجدي العناوين فقط بينما جميع التفاصيل هي مني حتى أنني طرحت مسائل جديدة وعصيفة تحت عناوين فريد وجدي البسيطة وكان من الجدير أن نطرح في عناوين مستقلة.

ثم إن فريد وجدي لم يأت بالتوحيد كقاعدة أساسية من قواعد الاسلام ولعل السبب في ذلك هو اعتقاده بأن التوحيد ليس مختصاً بالاسلام. غير أنني قلت إن التوحيد في الاسلام يختلف تماماً عن التوحيد في الاديان السابقة نظراً لعمقه ودائرة شموله ولهذا طرحت التوحيد تحت عنوان مستقل. والإشكال الذي أراه ولوداً عليّ هنا هو أنني طرحت التوحيد في أبعاده الإنسانية والأخلاقية فقط بينما نلاحظون اليوم في سلسلة دؤوس «معرفة الاسلام» الجديدة (طبعة الاوشاد) أنني وضعت دائرة البحث إلى أربعة أبعاد:

١- الرؤية الكونية.

٢- فلسفة التأويل.

٣- علم الاجتماع.

٤- فلسفة الاخلاق.

والاشكال الثاني الذي اعتبره إشكالاً أساسياً هو أنني وضعت التوحيد في مستوى أصول الدين الاسلامي الأخرى متبوعاً بذلك الطريقة التقليدية بينما اعتقد اليوم أن للإسلام أصلاً واحداً لا غير وهو التوحيد. فهو بمنزلة الجذو والشجرة ولا يمكن أن يتعدّد (لأنّ التمدّد هو في الأغصان وليس في الجذو). وأما سائر الفروع الاخرى كالتبوء والمعاد والإمامة والعدل والجهاد والحج والاخلاق و... فهي فروع تنفرع من هذا الجذو وتنشأ عن هذا الأساس.

الطالب: لا يخفى على أحد أن والدكم الاستاذ محمد تقي شريعني مؤسس «مركز نشر الحقائق الاسلامية» هو من رواد النهضة الفكرية الاسلامية ومن الوجوه الباوية التي قدّمت خدمات علمية جليلة في سبيل تبليغ الدين والمذهب لا يسع المجال لتفصيلها، وهذا هو الحال بالنسبة اليكم ايضاً فالجميع يعرفون ما بذلتموه من جهود عظيمة في سبيل احياء الفكر الديني والدعوة الى الاسلام على اساس الرؤية الكونية للمذهب الشيعي وتأثيركم العميق والسريع على صفوف المفكرين والطلبة الجامعيين داخل البلد وخارجه وكلنا نعلم ايضاً بأن التشرّبات والدؤوس والمحاضرات (العلمية والتبليغية) والمؤتمرات

والمهرجانات وحفلات التأبين والجرامج الخاصة بشهري محرم ورمضان التي افتاحتها حسينية الارشاد مثلاً بداية تأسيسها الى يومنا هذا وخصوصاً في السنتين الماضيتين قد اقتصص معظمها بالدفاع عن المذهب الشيعي ونشر معارف اهل البيت والتعريف بشخصيتهم (عليهم السلام) غير اننا وبالرغم من كل ذلك نلاحظ اليوم حملة دعائية مدروسة ومنشقة تصاحبها أنواع التهم والاكاذيب والاشاعات قد استهدفت حسينية الارشاد وشخصكم الكريم، بل استطالت لتشمل والدكم (الاستاذ محمد تقي شريعتي) الذي كرس عمره الشريف لخدمة الاسلام والمذهب. وسؤالنا هو: أولاً من الذي يقف وراء هذه الحملة الدعائية؟ وثانياً: ما هو الهدف من هذه المؤامرة؟

شريعتي: في الحقيقة لا استطيع الاجابة على الشئ الأول من السؤال لسببين: أولاً: لأنني أعتقد ان الجواب أوضح من الشمس. وثانياً لأنني أخاف! فلا يسمني إلا أن أقول بحذر - كي لا يسممني الجدار - ان هذه الجماعة لا تؤمن أساساً بالشيء الذي تتظاهر بالدفاع عنه!

وأما أهداف هذه المؤامرة والنتائج التي يربدون الحصول عليها فهي:

١ - السعي الى نشوبه سمعة حسينية الارشاد بين الجماهير وابعادهم عنها.

٢ - السعي الى نشوبه سمعة حسينية الارشاد بين المستنيرين ليزلها عن المجتمع وتهينة الأرضية اللازمة لتعطيلها.

٣ - الدفاع عن موقع السادة الديني والاجتماعي والمحافظة على الوضع الموجود وحكر الأفكار الدينية في أطر مغلقة لا تكون مفاتيحها إلا بأيديهم.

٤ - التهم بما يشبه المدح لأنهم يدافعون عن رجال الدين بعنق سفهم ولسان متفحش وأفعال مستهجنة كالتزوير والتحريف والكذب والشتم والبهتان وبحرّضون العوام بأنواع الطرق الرجعية السمياء والتصرفات الهمجية التي نمجها الانسانية والاخلاقي ويرفضها العقل السليم. فالمستهدف هنا هم «رجال الدين» وليس أنا المعلم البسيط المتواضع الضائع. انهم يقومون بهذه الاعمال نحيفاً للعلماء لأنّ التجارب جعلت هؤلاء الأعداء القواعين الذين يخافون اسلام الغد أن يموأ حقيقة ان أفضل طريقة لطمس الحقائق ليست مهاجمتها بقوة بل بالدفاع عنها بضعف.

وقد عشنا هذه التجربة مراراً عديدة في الاسلام وفي الجامعة الاسلامية العلمية وخصوصاً في الحوزة العلمية الشيعية ورأينا ان نتائج الهجوم المباشرة كانت معكوسة دائماً.

٥ - النبيلج «المذهب الوهابي» الجديد وتضخيم هذه القرعة التي لم يسمع أحد في ايران باسمها من قبل ونسب كل ذي فهم وشعور الى

هذه الفرقة الضالة .

٦ - عزل المجتمع الشيعي عن كيان الامة الاسلامية وانارة الثورات الطائفية والاحقاد السالفة من جديد ونبذ الخلافات المتطرفة الموجودة بيننا وبين الاخوة اهل السنة الى نزاع وحصام عميق وهذه هي الخطة التي عمل بها الاستعمار منذ القرن التاسع عشر لتدمير وحدة المسلمين.

٧ - اتاوه العواطف واغتيال الفنون والخلقا النزاعات الشديدة لصرف الأذهان عن العدو وخطاره ومؤامراته. فلم يكن امراً عقوياً ان يعلن احدهم من على منبر الاسلام: «ان اسرائيل هي خير لنا - نحن الشيعة - من فلسطين فان اسرائيل ليست عدوة لأهل البيت وانما العدو هم الفلسطينيون لأن اليهود أعطوا «قدك» لأهل البيت وسلبها هؤلاء منهم!!».

٨ - تنفيذ المخطط الاستعماري القديمة التي رسمها علماء الاجتماع للمسلمين: «حافظوا على الدين للعوام وروجوا الإلحاد بين المفكرين».

٩ - تجنب وواج الاسلام القرآني والتشيع العلوي والحبولة دون تعارف الناس على الامة والمجاهدين الشيعة خشية نحقق الاسلام الأصيل ونبدل «ولاية المشايخ» الى «ولاية نفعية تحررية تصارع الجور والجهل والجوع».

١٠ - الشعور بخاطر جفاف يتابع الرزق والشرف اعني: الجهل، الطائفية، التقليد!

١١ - مثل أقوى قاعدة للدعوة الاسلامية العالمية وأحد المركزين الرئيسيين لإنتاج الفكر والثقافة الاسلامية (إيران) والتي كان المسلمون في شرق ووسط آسيا (مسلمو القفاز والهند وأفغانستان وباكستان واندونيسيا وماليزيا وحتى الصين) يستضيئون بنور ثقافتهم الساطع ويفتخرون من معين علمائها وادبائها وشعرائها.

١٢ - قطع العلاقة وزرع بذور التناقض بين المفكر والجماهير والحوزة والجامعة والحديث والتقديم والجامعي والحوزوي والمشتف والعامي لاتهم يريدون الإلحاد للمفكر والنصب للعامي والملاهي للشباب والمساجد للشيخو الخاطئين في السن.

١٣ - كل حركة فكرية اسلامية نحاول طرح مبادئ «معرفة الذات» بشكل اسلامي تقديم لا بد لها ان نموت قبل ولادتها. فان ولدت، لا بد لها ان تنسل، وان لم تنسل لا بد لها ان نشوء وتلوث وتطرد وإلا سيقتل كل شيء... ولا بد أن لا يغير رأي شي!

* * *

س : مع انكم دعونهم أصحاب الرأي والقليل الى نقد آرائكم وأبدتم بذلك حسن نيتكم إلا أنكم لم تبدلوا الحد الآن عن آرائكم حتى

لمرة واحدة. هل يعني هذا أن جميع آرائكم هي في غاية الانحياز وعارية من أي إشكال؟

ج: إن الذي يجري حوله هو مؤامرة متمتدة ومنفذة واسعة النطاق وليست قضية نقد علمي أو عقائدي.

فالذي يقرأ قصة الغدير وقصة وفاة النبي ودراساتي لشخصيات الصحابة وعلاقتهم الخاصة وقصة عصية أبي بكر ووقوفها بوجه علي وكلماتي الخاصة التي نثر عن حقني وإخلاصي ومدى حيرني أسام عظيمة علي ثم يقوم بعد ذلك بتحرير بعض السذج من الناس بأنواع الشجب والمراك والسب والنتم والبهتان ويهمني بالمداء للشيعة والاسلام، لا يقوم بهذا عقوباً وإنما هي مؤامرة مدبورة متقنة فكل من قرأ كتيب المنننر: في كل مكان - يعلم أنني بدأت الكتابة باسم «أبي ذر الغفاري» وكان عنوان آخر ما كتبه حتى الآن «الشيعة الاحمر والشيعة الاسود». فقد كرّست حياتي الفكرية وكلّ إيماني للدفاع عن مدرسة علي والولا، للعترة الطاهرة والشعور بالمسؤولية نجا، النهضة الشيعة التحررية الثورية المادلة. فأنني لا أنظر الى حوادث ما بعد النبي من منطلق شيعي فحسب، بل أنظر الى مسيرة التاريخ البشري ككل من هذا المستطلق (الحسين وارث آدم) وأعد فاطمة (س) حلقة الوصل بين سلسلتي النبوة والامامة أي المرحلتين الأساسيتين في القدر التاريخي للمدالة والخلاص - كتاب (فاطمة هي فاطمة). فالذي لم يقرأ كتيب فإنه سمع

يعناوينها على الأقل فقد نشر لي في السنتين الماضيتين فقط الكتب التالية:

«الحسين وارث آدم»، «الانتظار ومذهب الرفض»، «الشيعة الملوي والشيعة الصفوي» «الامامة والامامة في علم الاجتماع»، «الدعا، مدرسة السجادة والاحتياج والرعي والجهاد»، «الشيعة حوب كامل»، «الشيعة الاحمر»، «علي: ثلاث وعشرون سنة جهاد من أجل الرسالة، خمس وعشرون سنة سكوت من أجل الوحدة وخمس سنوات صراع من أجل العدالة»، «علي: الانسان الكامل»، «وحدة علي»، «لو قال علي: نعم»، «علي حقيقة نشيد الأساطير»، «ما هي الحاجة الى علي؟»، «عصرنا يبحث عن علي»، «حياة علي بعد الموت»، «علي روح واحدة ذات عدة أبعاد»، «فاطمة هي فاطمة»، «مسؤولية الشيعي»، «أبو ذر في المواجهة مع عثمان»، «نعم، هكذا كان بأخي»، «الشهادة: الحسين، ما بعد الشهادة = زينب»، «القاسطون، الماروفون والناكثون» و...

وفد كتب غيري في حسبيّة الارصاد:

«الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسنة»، «علي شاهد الرسالة» و «موعود الأديان» للاستاذ محمد نفى شريعتي و «جاذبة ودائمة علي» و «الولا، والولاية» للاستاذ مرتضى مطهري و... وأكثر من مئتي محاضرة خاصة بمواضيع مدونة اهل البيت (ع) أنشأها

مناهير الخطيئة في حسبيية الارتداد ومع كل ذلك نلاحظون أن هذه الجماعة نصرّت على اغتيال الإشاعات وإثارة الفتنة واختلاق أنواع النهم والشقاق وغم كل هذه الخدمات والنتائج العلمية.

فكلّ ما كتب وقيل لم يكن نقداً علمياً، لا أريد أن أقول أن كل ما كتبه ليس فائدة للفند ولكني أقول أن كل ما سمعته لم يكن نقداً علمياً. فإذا كنتم تصدّون أنني أصحّ على كلامي ولا أقبل كلام غيري فإنكم مخطئون لأن كل من قرأ كتابي أو حضر دورسي يعلم جيداً أنني أقصد نفسي قبل أي شخص آخر وأكثر من أي شخص آخر وعندما أوصّل إلى مسألة جديدة تصحّح آرائي السابقة فإني أصادر بإعلانها والاعتراف بها فهو التوصل إليها وحتى أثناء الحصة الدراسية التي لا ترتبط بها، أمّا بالنسبة للاهتمام بأراء الآخرين فإني أعطي ما أكتب دائماً إلى طلبتي ليدلوا بأرائهم حولها وإني أقبل هذه الآراء في غالب الأحيان. كما يعلم كل الذين تعاملوا معي أن لي اثناً صاغية ومصدراً رحيماً إزاء أي رأي إصلاحي أو أي نقد بناء بل حتى أنرجي الآخرين أن ينفذوا آرائهم. أما أنا فأصحّح دائماً وفي كل دورس أو محاضرة تقريباً وأياً من أوائهم وأعلن دائماً أن ما أقوله هو مجرد رأي ليس إلّا وأضع المبكر فون بين يدي كل من يريد التحدث في جلسة عبائة بعد كل ساعتين أو ساعتين لنبعد ثلاث أو أربع ساعات. وقد جاؤوا وتحدثوا وحتى نفصلوا علينا بالاهانة! وما كان متي ومن طلبتي ومن الحسبية إلّا أن نسمع ونصبر ونشكر!

أما إذا كنتم نصدّون وقد فعلت إزاء سبيل النهم والتهجمات والإشاعات الواسعة النطاق التي أثاروها بشكل متزامن وجاهتها بأذنين أصحّين ولسان أبكم فلکم الحق في ذلك ولكي لا نخطئ هذه الجماعة في تفسير هذا الكلام عليّ أن أقول أنني سوف لا أسكت أبداً عن أولئك الذين لا يألن جهداً في خداع الناس وطمس كل فكرة وحركة نسعى لإحياء الإيمان ونوعية التفكير وعن أولئك الذين يصوّون إمام الشيعة بصوّة مرتزق يسرّحهم الخليفة، ويصوّون الحسين العظيم بصورة مقصّر يسرّحهم النمر. وسوف لا أساوم ولا اضحّي بالحقيقة من أجل مصلحة الخاصة حتى لو صليوني وسحقوني وكفروني... ووجاهتي ونوقي من كل من يشعر بالمسؤولية تجاه الدين والناس وخصوصاً علماء الشيعة الحنفيين أن يعينوني في هذا الطريق. وأما أولئك القوم فإنهم قد يستطيعون أن يصليوني كما صلبوا «عين الفضاة» أو يعرفوني كما حرقوا «جرنادو» لكنهم لن يقدروا أن يسمعوا مني صوت «آء» واحده. وكما قال أبو ذر: لو ضغط غلمان عثمان وعد الرحمن وكعب الاحبار (مثلث السلطة والذهب والتزوير) السيف على نحري ولم يبنني مني إلّا نفس واحد فسألفظ ذلك النفس يقول كلمة حق من أجل التشيع العلوي الذي أؤمن به بكل وجودي حتى لو لم تكن هذه الكلمة لا نصب في صالح التشيع الصقوي!

والسلام



مؤسسة الجعفر الثقافية

E-mail: jafar_zh_attar@yahoo.com

فهرس الموضوعات

١٧	ملقحة للطبعة الفارسية
١٨	ملاحظات الناشر
٢١	كلمة بخصوص الترجمة
٢٣	الدين ضد الدين
٢٩	الكفر
٢٠	الشرك
٣١	عبادة الأوثان
٣٢	خصائص دين الشرك
٣٣	التوحيد
٣٦	المسامري
٣٦	يلمع بن جاعورا
٣٧	الفريسيون
٣٧	مشركو مكة
٤٠	ماهية الدين الثوري
٤٢	ماهية الدين التبريري

فهرس الموضوعات

٤٣	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٣	استمرار دين الشرك
٤٤	قاعدة حماية دين الشرك الاجتماعية
٤٦	العامل الرئيسي في دين الشرك
٤٦	الدين الابوي
٤٧	الموجودة في التاريخ
٤٧	حركة دين الشرك
٥٣	الله والناس
٥٤	انواع الطاغوت
٥٩	دين الكفر ودين الاسلام
٦٠	هيمنة دين الكفر على التاريخ
٦١	العالق بالناس
٦٢	عزال الله
٦٣	دعم التمييز الطيفي والعرفي
٦٤	الرب والخالق
٦٤	المدينة المنورة رمز المجتمع المثالي
٦٧	الدين في ايران
٦٧	الطيفة الأولى والطيفة الثانية
٦٨	الطيفة الثالثة
٦٩	رجال الدين المحوس وتبرير التمييز الطيفي
٧٢	أنبياء دين التوحيد

٧٢	دين الشوك الجلي والنفق
٧٧	خطا المفكرين
٧٧	رسالة العلماء والمفكرين
٨٧	نعم، هكذا كان يا أخي
١١٧	نوبتي، الحضارة والذين
١١٩	حوار مع نوبتي
١٢٥	وداعاً يا مدينة الشهادة
١٤٢	لولا البابا وماركس
١٥٩	ندوة للاجابة على الاسئلة والانتقادات
٢٠٧	مفتطف من حوار مع أحد الطلبة الجامعيين



لشم لجمال

تاريخ اقننا هذا ان

٢٠١٤ / ١٠ / ٢٠

١٢

حزني والمني الوحيد هو انني لم استطع ان انهي
اعمالني ، بل انني لم استطع الاستمرار بها وستبقى
تلك غصة مائكة اناقي ، هذا من جانب ، ومن جانب
آخر فان حزني والمني على الكثير من اعمالني
الرئيسية بقيت اسيرة زحمتها ، ومهددة بالزوال ، وما
نشر منها طبع على شكل مسودات مملئة بالاعلام ،
وذلك لقلة الامكانات وكثرة المشاغل.

يجب عدم النظر الى اعمالني على انها اعمال علمية
تحقيقية فحسب ، بل يجب ان تتلقاها كمصريات - من
شدة الالم والاسى - وذلك باتجاه الطريق وهزات من
اجل الصحة / ومساعد على التطريق ، ونظرات كلية
في اطار الديف ودعوة واحدة ورؤي ، واخيرا نوعا من
التعبئة الفكرية والروحية في المجتمع.

كل ذلك كنبيده وانا منفي وتحت ظروف ضاغطة .
ومؤمرات محاكم ، وفي حال كنت انتظر فيما
المصيبة في كل لحظة ، لذلك يجب ان يعاد النظر
في هذه الكتابات من الناحية العلمية والفنية ،
وتصحيح الاخطاء اللغوية والمعنوية وتصحيح مرة
اخرى ، فهي ثمرة حياتي ، وكل ما اتحدى ، وهي كل
وجودي وميراثي.

ان لطف الله وحرقه اوليائه للدين ، جعلتني اتكلم
في هذا السكون المولف ، في زمان اصبحنا نفقد
فيه كل شيء ، فاهتنا تعاني من مسخ هويتها ،
وغديرنا المذبذب في حال الجفاف وهذه مائرتنا
الشامخة بقيت بلا مدافع عنها امام الحمجية
والغوغاءية حتى اقتضى من الصيب ان يجد كلامي
طريقه بين الالام والام التي تجعلنا.

من وصية الدكتور شريعتي



دار

الفكر الجديد

العراق ، الاله الاشراف

٧٨٠١٠٣٦٠٠٨ * ٧٨٠١٥٨١٤٧١